cover_4_pages.ai 4 02/03/2024 11:05

مجلة شهرية

Issue No: 200 عدد:

April 2024 شهر نيسان

نور يسوع المسيح المسيح

ΦΩΣ الغالب XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

دير ڤاتوبيذي

للرُّوح الأرثوذكس
جبل آثوس، اليونان

عدد مميّز رقم 200

نور المسيح مضيءٌ للجميع

رفع الصليب الكريم المُحيِي
بشارة العذراء مريم

إليكَ نَدَّلِجُ يا مُخلِّصَ العالم
مُسبحينَ ايَّاكَ لأنَّنا
وجدنا سلامةً بصَليبِكَ
الذي بهِ جَدَّدتَ جنس البَشَر
واقتَدتَنا الى النورِ الذي لا يَغرُب

قطعة فريدة ومقدّسة
من الصليب الكريم الحقيقي
موجودة في دير ڤاتوبيذي

تجديد غرفة الطعام
مقابل الكنيسة

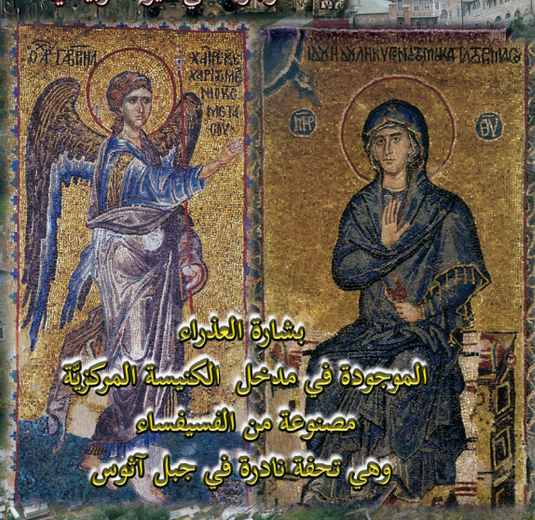

بشارة العذراء
الموجودة في مدخل الكنيسة المركزيّة
مصنوعة من الفسيفساء
وهي تحفة نادرة في جبل آثوس

عيد الدير المركزي
بشارة العذراء مريم

٢٥ آذار شرقي، الواقع في ٧ نيسان غربي

cover_4_pages.ai 2 02/03/2024 11:05

الصليب
قوَّة الله
التي لا تُقاوم

الموتُ في مفهومِ المسيحِيَّةِ

ذاتَ مَرَّةٍ، حُبِلَ بتوأمين في وقتٍ واحد، وعَبَرَت الأسابيع وكان التوأمان ينمُوان. وكلَّما كان نموهما يزداد، كانا يضحكان فرحًا: « **ما أعظم ما نحن عليه إذ حُبِلَ بنا! ما أجملها الحياة**». وبدأ التوأمان يكتشفان العالم الصغير الذي يعيشان فيه، وحينما انتبها إلى **الحَبْلِ** الذي ينزل إليهما ويعطيهما الحياة (وهما في بطن أُمهما)، كانا يطربان فرحًا! ويقولان: ما أعظم محبَّةُ أُمِّنَا لنا، حتى أنها تجعلنا نشترك في حياتها.

امتدت الأسابيع إلى شهورٍ، وبدأ التوأمان يُلاحظان كَمْ أنَّ شكلهما يتغير شيئًا فشيئًا.

فسأل أحدهما الآخر: «**ماذا يعني هذا**»؟

فردَّ عليه شقيقه: «**إنَّهُ يعني أنَّ بقاءنا في هذا العالم آتٍ إلى نهايته**».

فأجابه الأول: «... **لكنني لا أريد أنْ أرحل، أريد أنْ أبقى هنا دائمًا**.»

فردَّ عليه الآخر: « **إنَّ الأمرَ لا خيار لنا فيه. فرُبما كانت هناك حياة تنتظرنا بعد خروجنا من هُنا**.»

فأجابه التوأم: «**ولكن كيف يكون هذا؟ فإننا بخروجنا سوف نفقد هذا الحَبْل الذي يُغذِّينا بالحياة، فكيف يمكن أنْ تكون لنا حياة بدونِهِ؟** ثم هناك برهان آخر، فكما يبدو أنَّ آخرين كانوا هنا قبلنا ورحلوا خارجًا، ولم يرجع ولا واحد منهم ليقول لنا إنَّ هناك حياةً بعد الخروج من هنا. لا، لا، هذه هي نهايتنا؛ بل إنَّهُ يبدو أنَّهُ لا يوجد أُمٌّ على الإطلاق.».

فاحتجَّ التوأم الآخر على شقيقه: «**لا، لابدَّ أنْ تكون حياة! فلأي سببٍ آخر جئنا إلى هذا العالم؟ وكيف لا نبقى أحياء**»؟.

فردَّ عليه التوأم الأول: «خبِّرني، هل رأيتَ أُمنا ولو مرة واحدة؟ يبدو أنها تحيا فقط في تصوُّرنا. وبهذا نكون نحن الذين اخترعنا هذه الفكرة لعلَّها تجعلنا سعداء».

وهكذا، كانت الأيام الأخيرة في الرَّحِم مليئة بالتساؤلات العميقة والخوف الشَّديد من الخروج. وأخيرًا، حلَّت لحظة الولادة. ولما انتقل التوأمان من عالمهما المظلم هذا، فَتَحَا أعينهما وصرخَا من الفرحَةِ، إذْ شاهدَا أحلامهما تتحقَّق بأجمل مما تصوَّرا، **هذا هو الموت في مفهوم حياتنا المسيحِيَّة.**

يقول الآباء القديسون:

إنَّ هذا العالم هو بمثابة الرَّحِم الذي سَيَلِدُنَا إلى العالم الجديد أو الدهر الجديد.

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدسة
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد رفع الصليب الكريم المُحيي في دير الصليب في الناصرة

إنَّ الموتَ الذي أصاب جنس البشر بواسطة الأكل من العودِ، قد اضمحلّ اليوم بالصليب. فإنَّ لعنة الأُم الاولى التي لحقت بكلِّ ذُرِّيتها قد نُقِضَت مُنحَلَّة بالفرعِ الذي نَبت من أُمِ الله النقيَّة، التي كُلُّ قوَّات السموات تعظمها.

أي أنَّه منذُ الوقت الذي دخلت فيه الخطيئة العالم سادَ الموتُ والفساد، «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.» (رو٥:١٢). وبحسب القديس **كيرلُّس الكبير**: «نحن كُنَّا ملعونين ومُدانين بحكم الله، بسبب تَعَدِّي آدم، وبسبب كَسْرِ النَّاموس الذي جاء بعد آدم، لكن المخلِّص محا الصَكَّ الذي كان ضِدَّنَا، بأنْ سَمَّرَهُ في صليبه.» هذه العقوبة قد أُلْغِيَت بواسطة قوَّة الصليب، وانحلَّت بالذي وُلِدَ من **العذراء مريم والدة الإله** أي **المسيح**، التي تُسبحها جميع القوات السماويَّة. هذا ما يُنظمه مرنم الكنيسة **القديس كوزماس أسقف مايوما**.

أيها الاخوة المحبوبون بالرَّبِّ يسوع المسيح

أيها المسيحيُّون الاتقياء

لقد أتينا اليوم لهذا المكان المقدس الى مدينةِ **بشارةِ والدةِ الاله الدائمة البتوليَّةِ مريم** أي الناصرة لكي نحتفل بعيد رفع الصليب الكريم المحيي، وفي هذا الصدد نُصغي الى القديس بولس الرسول الذي يقول: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ.» (غلاطية ٦:١٤).

بحقٍ وعدلٍ يفتخر القديس الحكيم بولس الرسول بالصليب، وذلك لانَّهُ بالصليبِ قد أُلغي موت الفساد، والخطيئة أُبيدت، فقد دخل الموت الى جنس البشر بسبب الانسان كما يقول سليمان الحكيم في كتابه: «إِذْ لَيْسَ الْمَوْتُ مِنْ صُنْعِ اللهِ، وَلاَ هَلاَكُ الأَحْيَاءِ يَسُرُّهُ». (حكمة سليمان ١:١٣). «لكِنْ بِحَسَدِ إِبْلِيسَ دَخَلَ الْمَوْتُ إِلَى الْعَالَمِ». (حكمة سليمان ٢:٢٤).

يقول القديس كزماس أسقف مايوما مرنم الكنيسة ناظم تسابيح هذا العيد: « إنَّ الموتَ الذي أصاب جنس البشر بواسطة الأكل من العودِ قد اضمحلَّ اليوم بالصليب»، وهذا ما يُؤكِّده القديس بولس الرسول في رسائِلِهِ، أنَّهُ بواسطة عود الصليب قد أُلغي الموت إذ يقول :« وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ(**يسوع المسيح**)، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.» (في٢:٨)، وأيضًا «عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ أَيْضًا. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ.» (رو٦:٩).

ويستطرد **القديس أثناسيوس الكبير** في هذا المجال مُفسرًا قول القديس بولس:« لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ.» لهذا قد صُلِبَ **المسيح** لكي يشترينا من اللعنة ونرث نحن البركة. وهذه البركة تَنْبُع من قُوَّة المصلوب المرفوع على الصليب، أي **المسيح الهنا ومخلصنا**، الذي به نهضت طبيعتنا البشريَّة مِنْ سَقْطَتِهَا الى دركات الارضِ، فتوطَّنت في السماء، والذي يدل عليه بأجلى بيان مرنم الكنيسة القديس كوزماس الذي يقول: « إنَّ عود الحياة بانتشاله اليوم من أعماق الارض يحقِّق قيامة المسيح الذي عُلِّق عليه. وبرفعه بين أيدي الكهنة يُخبر بارتفاع المسيح الى السماء، الذي به نهضت طبيعتنا من سقوطها الى ألارض. فلنهتفنَّ عن شكرٍ قائلين: يا ربُّ يا من رُفِعَ عليه فرفعنا به معه، أهِّلنا نحن مُسبِّحيك للفرح السماوي».

ويعلِّم القديس بولس واعظًا بدالَّةٍ: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (١كو١:١٨). وبمعنى آخر فإن إعلان بشارة الصليب تُستبان لآولئك الذين يسيرون في طريق الضلال بأنها جهل وغباوة، وأمَّا لنا نحن الذين نسير في طريق الخلاص، فهي قُوَّة الله المنيرة والمُعينة والمحيية والمعزِّية.

وهنا أريد أنْ أُنوِّهَ الى تعليم **القديس غريغوريوس بالاماس** حول **الصليب** إذ يقول: بأنَّ سِرَّ الصَّليبِ سرٌ عظيمٌ الهيٌ، لماذا؟ وذلك

لأنَّهُ عندما ننظُر الى الصليب يظهر وكأنَّهُ يجلب الخزي والعار لمن يقبل أنْ يُصلبَ عليه. ويُعتقد ويُظن من الناس أنَّ هذا المصلوب عليه، يُهين نفسه ويحتقر ذاته في كُلِّ شيء، وأنَّهُ يتألم بسبب ابتعاده عن الشَّهوات والملذات الجسديَّة، وعدا عن ذلك، أنَّهُ قد افتقر لأنَّهُ وزّع أمواله على الفقراء كإحسانٍ. ولكن بقُوَّةِ الله، هذا الفقر، وهذا الألم والخزي والاحتقار سوف يُولِّد مجدًا أبديًّا مُتألقًا، لجميعنا نحن الذين لنا دعوة الخلاص، «لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا.» (٢كو ٤: ١٧). إنَّ الله قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ».» (تك٣:١٦).

فبواسطة قوّة الصَّليب العظيم «أُلغي ونُقِضَ قصَاص حواء الأم ألاولى بالذي وُلد من النقيَّة العذراء مريم والدة الاله، أي المسيح»، حسب قول المرنم القديس كوزماس.

بكلامٍ آخر أيُّها ألاحبة: أنَّ قوّة الصَّليب العظيم،حرَّرتنا من عِقاب الله الذي قاصَصَ به الجدَّين الأوليْنِ، والذي حصل، بسبب عصيان البتول الأولى في الفردوس أي حواء، وعصيان آدمَ أيضًا. وهذا التحرُّر ظهر جليًّا في بشارة العذراء. في حين أنَّ حوَّاء الأولى سمعت من الله عبارة «بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا»، سمعت العذراء مريم: «افرحي يا ممتلئة نعمة!» حواء سمعت «وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ!»، والعذراء «الرَّبُّ مَعَكِ».هذا معنى: اليوم رأس خلاصنا بالمسيح المخلِّص.

وبهذا الصدد يقول القديس يوحنا الدمشقي :« أنَّ المسيح قد جاء من بتولٍ عذراء وأنها لعجيبة وعظيمة أنْ تتجدَّد الطبيعة البشريَّة، وانْ يتمَّ تجاهل وتجاوز الزواج الطبيعي. ولكن لولا الصليب لما خَلُصَتِ المرأه، بتول الفردوس الاولى بأعمالها، ولكن ألآن بصليب المسيح فقط خلصت المرأة ألاولى وشُفي الشرّ القديم بمواهب جديدة. »

حصل هذا كله بواسطة الصليب الكريم الذي نُعيِّد لرفعه ممجدين وساجدين للمسيح ابن الله الصائر ابنًا للعذراء من الرُّوح القُدُس، ونسجد مكرمين للفائقة القداسة المُباركة العذراء مريم والدة الاله أمِّ الله ومخلصنا يسوع المسيح.

اليوم يُوافي صليب الرَّبِّ فيستقبله المؤمنون بلهفةٍ, وينالون به شفاء النفوس وألاجساد والبرء من كُلِّ الأسقام، فلنُقبِّلَهُ بفرحٍ وخوفٍ. أمَّا بخوفٍ فمن الخطيئة التي بها نكون غير مستحقين، أمَّا الفرح فبالخلاص الذي يمنحه للعالم المسيح الرَّبَّ الذي سُمِّر عليه العظيم الرحمة. آمين.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

نَصُّ العِظَةِ:

اليوم، يا أحبائي، نُعيِّد ونحتفل بالصليب، إذ أنَّ السيِّد صُلِبَ على الصليب والشمس مُتَوارية. ولا تتعجَّب من أنَّ الأمور التي تُسبِّب التَّجَهُّم والعُبوس، هي نفسها التي نحتفل بها، إذ أنَّ كُلَّ الأمور الرُّوحِيَّة تختلف عن الأمور الجسديَّة المُعتادة. ولْتَعْلَم هذا بالتمام.

كان الصليب في السَّابقِ اسمًا للقَصَاصِ والعقابِ؛ أمَّا الآن، فهو اسمٌ للفخرِ والاحترام.

كان الصليب في السَّابقِ موضع عارٍ وعذاب؛ أمَّا الآن، فأصبح سببَ مجدٍ وشَرَفٍ.

وكَوْن الصليب هو مجدٌ، يؤكِّده قول المسيح: «مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.» (يو١٧: ٥).

فالصليب هو قمَّةُ خلاصنا. الصليب هو مصدر عشرات الآلاف من الخيرات.

فبواسطة الصليب صار المنبوذون والساقطون مقبولين في عداد الأبناء.

به لم نَعُدْ بعدُ مُضلَّلين، بل للحقِّ عارفين.

بالصليب أصبح الذين كانوا – فيما مضى – يعبدون الأخشاب والأحجار، صاروا يعرفون خالق الكُلِّ.

بالصليب نال عبيد الخطيَّة عِتْقَ الحرِّيَّة بالبرِّ.

به صارت الأرض سماءً، فهكذا (بالصليب) تحرَّرنا من الضلالِ، وهكذا نلنا الإرشاد إلى الحقِّ.

هكذا تَمَّم **الله** أمرًا يليق به تُجاه البشر.

هكذا أقامنا من عُمْق الخطيَّة، ورَفَعَنا إلى قمَّةِ الفضيلة.

هكذا أباد (الله) **ضلال الشَّياطين**، وهكذا كَشَفَ الخداع بالصليب.

لم يَعُدْ هناك دخان، ولا دماء حيوانات مُهْرَقة؛ بل في كلِّ مكانٍ نجد الاحتفالات الرُّوحيَّة والتسابيح والصلوات.

بالصليب هَرَبَت **قُوَّاتُ الشَرِّ، وفَرَّ الشَّيطانُ**.

بالصليب تتسابق الطبيعةُ البشريَّة لتنضمَّ إلى مَحْفَل الملائكة.

بالصليب صارت البتوليَّة مُسْتَوطَنة على الأرض.

فحيث أتى **المسيح** من **عذراء**، فقد فَتَحَ طريق هذه الفضيلة أمام طبيعة البشر.

بالصليب أنارنا نحن الجلوسَ في الظُّلمَةِ.

بالصليب تحرَّرنا من الأَسْرِ، وبعد أنْ كُنَّا بعيدين، صرنا منه قريبين.

هكذا بالصليب خَلُصْنا، وصار لنا هذا الفداء بالفعل.

هكذا، بالصليب، بعد أن كُنَّا غُرباءَ، صرنا مُواطنين سماويِّين.

هكذا، بالصليب، بعد أنْ كُنَّا نُحارَب، صار لنا السَّلام والأَمْن.

وبالصليب، لم نَعُدْ نخاف **سهام الشَّيطان**، فقد وَجَدنا نَبْعَ الحياة.

بواسطة الصليب لا نحتاج، فيما بعد، للزينة الخارجيَّة، لأنَّنا نتمتَّع **بالعريس**.

وبه، لم نَعُدْ نخاف **الذِّئب (الشيطان)**، فقد عرفنا **الرَّاعي الصَّالح**: «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ» (يو ١٠: ١١). وبه لن نَرْهَب **الطاغية**؛ إذ صرنا في جانب الملك.

أرأيتَ كَمْ هي الخيرات التي قدَّمها الصليب لنا؟ إذن، يحقُّ لنا أن نُقيم عيدًا له.

ولهذا أوصانا بولس الرسول أنْ نُعيِّد قائلين: «فَلْنُعَيِّد، لاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ، بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ.» (١كو ٥: ٨).

ولماذا توصينا، أيُّها الرسول المغبوط بولس، أنْ نحتفل بالصليب؟ لقد أوضح السَّبَب: «لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا.» (١كو ٥: ٧).

أرأيتَ كيف يكون الصليب عيدًا **للمسيح؟**

أعرفتَ أنَّهُ يجب أنْ نُعيِّد للصليب!

لقد ذُبِحَ **المسيح** على الصليب. وحيث تكون الذَّبيحة، هناك العِتْق من الخطايا، هناك مُصالحة مع **الرَّبِّ**، هناك عيدٌ وفَرَحٌ.

لقد قيل: «إِنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا.». فَقُل لي: أين ذُبِحَ؟

لقد ذُبِحَ مرفوعًا على الصليب؛ المذبح الجديد والمُختلف عن أيِّ مذبحٍ، لأنَّ الذَّبيحة جديدة ومختلفة عن أيَّة ذبيحةٍ.

فهو نفسه (أي **المسيح**) الذبيحة والكاهن.

أمَّا كونه ذبيحةً، **فبحسب الجسد**. أمَّا كونه كاهنًا، فبحسب **الرُّوح**.

وهو نفسه المُقَدِّم والمُقدَّم.

فاسمع أيضًا ما يقوله بولس الرسول: «لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ النَّاسِ يُقَامُ لأَجْلِ النَّاسِ فِي مَا للهِ، لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ عَنِ الْخَطَايَا، (عب ٥: ١). «أَمَّا المسيح فلم تكن له حاجة إلى ذلك، إذ قَرَّبَ ذاتَهُ» (انظر عب ٧: ٢٧).

ويقول بولس الرسول في موضعٍ آخر: «إِنَّ المسيح قُدِّم مرَّةً واحدة ليحمل خطايا كثيرين» (عب ٩: ٢٨).

لقد قُدِّم هُهنا، أمَّا هناك فقد قدَّم ذاته!

أرأيتَ كيف صار ذبيحةً وكاهنًا معًا! وكيف كان الصليب مَذْبَحًا له!

ومِنَ الضروري أنْ نَعْلَم لأيِّ سببٍ لم تُقدَّم الذَبيحة داخل الهيكل اليهودي، ولكن خارج المدينة، خارج الأسوار.

لقد صُلِبَ خارج المدينة، مُرتفعًا على الصليب، وليس تحت سقفٍ ما! لكي **يُطَهِّرَ** طبيعة الهواء.

فهناك، وهو مرفوعٌ على الصليب، لم يكن يُظلِّله سَقْفٌ بل سماءٌ، لكي يُطهِّر الأرض مرَّةً بذَبْح الخروف هناك عاليًا على الصليب.

وكما تطهَّرت السماء، فإنَّهُ طَهَّر الأرض أيضًا. فعندما سَالَ الدَّمُ من جَنْبِهِ، تطهَّرت الأرض من كُلِّ دنسٍ.

ولماذا لم تُقدَّم ذبيحة الصليب تحت سقفٍ أو في هيكلٍ يهودي؟

اعْلَمْ أنَّ هذا أيضًا ليس أمرًا بسيطًا، فقد حدث ذلك لكي لا يَدَّعِي اليهود أنَّ الذبيحةَ تَخُصُّهم وحدهم، أو يُظَنَّ أنها قُدِّمت عن هذا الشَّعب فقط. ولهذا قُدِّمت خارج المدينة والأسوار، لكي تُعلِّمهم أنَّ الذبيحة هي مَسْكونيَّة (أي للعالم أجمع)، وأيضًا أنَّها قُدِّمت عن الكلِّ، وأنَّ تطهير الطبيعة شاملٌ لكلِّ الأرض. بعكس اليهود الذين **أَمَرَهُم الله** أنْ يتركوا الأرض كلَّها، ويُبْقوا لأنفسهم مكانًا واحدًا للصلاة وتقديم الذَّبائح، بسببِ أنَّ الأرضَ كلَّها كانت مُدَنَّسة بدُخان ودِماء ذبائح الوثنيِّين وأدناس اليونانيِّين.

أمَّا بالنسبة لنا، فقد جاء **المسيح** وتألَّم خارج المدينة، وَطَهَّر كُلَّ المسكونة، وجَعَلَ كُلَّ موضعٍ مكانًا للصلاة.

أَتريدُ أنْ تعرف كيف أنَّ الأرض كلَّها أصبحت هيكلًا، وأنَّ كلَّ مكانٍ أصبح مكانًا للصلاة؟

اسمع أيضًا ما يقوله المُطوَّب بولس: «فَأُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ الرِّجَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، رَافِعِينَ أَيَادِيَ طَاهِرَةً، بِدُونِ غَضَبٍ وَلاَ جِدَال.» (١تيمو ٢: ٨).

أرأيتَ كيف أنَّ المسكونة كلَّها تطهَّرت. إنَّنا نستطيع الآن أنْ نرفع أيادي طاهرة في كلِّ مكانٍ!

فلقد صارت الأرض، إذن – بأَسْرِهَا – مُقدَّسة؛ بل بالحري أَقْدَس من قُدْس أقداس اليهود!

وكيف يكون هذا؟ هناك في قُدْس الأقداس يُقدَّم خروفٌ من الحيوانات غير العاقلة؛ أمَّا هنا، فالخروف عاقلٌ (ناطقٌ).

وبمقدار ما تفوقُ الذبيحةُ العاقلة الذبيحةَ غير العاقلة؛ هكذا يفوق تقديس الأرض (بالصليب) على أقداس اليهود.

وبالتالي، **فالصليب هو عيدٌ حقًّا!** ■

أعلنَ **المجمع المسكونيّ الثالث** الذي انعقد في مدينة أفسس عام ٤٣١ أنَّ **مريم والدة يسوع المسيح** هي حقًّا «**والدة الإله**». واعتبر الآباء القدِّيسون الملتئمون في المجمع أنَّ هذا التعبير «**والدة الإله**» يتضمَّن محتوى عقائديًّا على مستوى اللاهوت والإيمان المسيحيِّ القويم. ولا تكتمل أرثوذكسيَّة المؤمن وصحَّةِ إيمانه من دون الاعتراف بأنَّ **مريم** قد ولدت **الإله نفسه الكائن منذ الأزل لدى الله الآب**. **مريم** لم تلد بشرًا كسائر البشر، فأتى **الله** وسكن فيه. بل ولدت **الإله**، فَأَعْطَتْهُ الجسد بعد أنْ سكنَ في أحشائِهَا ما تقتضيه الطبيعة من وقتٍ. لذلك، عقيدة «**والدة الإله**» ليست عقيدة مريميَّة تختصُّ بمكانة مريم في الإيمان الأرثوذكسيّ. إنَّما هي، بالأحرى، عقيدة مسيحانيَّة متعلِّقة **بشخص يسوع المسيح** وتدبيره الخلاصيِّ من أجل البشر. ويجدر التنويه هنا إلى أنَّ الكنيسة، وفي هذا السياق تحديدًا، لم ترفع إلى مستوى العقيدة سوى ما يختص **بالله، الآب والابن والرُّوح القُدُس**.

في الواقع، دَرَجَ **الآباء** قبل **مجمع أفسس** بوقتٍ طويلٍ على إطلاق اسم «**والدة الإله**» على **مريم**. ولائحة المراجع طويلة، نكتفي بالإشارة إلى بعضها الأهمّ. فمن أولى الشهادات ما ورد في إحدى رسائل القدِّيس ألكسندروس بطريرك الإسكندريَّة (٣٢٠) حيث جاء: «**فقد لَبِسَ المسيح في الحقيقة، لا في المظهر، جسدًا اتَّخذه من مريم والدة الإله**». أمّا **القدِّيس أثناسيوس الكبير** (٣٧٣)، خليفة ألكسندروس، **وبطل الإيمان القويم** والمدافع عن العقيدة المسيحيَّة في وجه **الهرطقة الآريوسيَّة**، فيقول عن السيِّدة **مريم**: «**إنَّ الكلمة هو نفسه قد وُلد بالجسد من مريم والدة الإله**». **والقدّيس غريغوريوس النزينزيّ** (+٣٨٩) يقول أيضًا: «**إنْ كان أحد لا يؤمن أنَّ القدِّيسة مريم هي والدة الإله، فهو غريب عن الله**».

لقد سُقنا هذه الأقوال كي نقول إنَّ إعلان عقيدة ما في الكنيسة لا ينشأ من العَدَمِ. بل إنَّ إعلان العقيدة يأتي ردًّا على **تعاليم مُنحرفة**، وعلى **هرطقات** تشاء ضلال المؤمنين. فالعقيدة ليست سوى التأكيد على ما تناقلته الكنيسة من إيمان سليم **تَسَلَّمَتْهُ من الأجداد والآباء** وبدورها **سَتُسَلِّمُهُ** إلى الأبناء. وهذا تمامًا ما حصل مع **نسطوريوس**، بطريرك القسطنطينيّة (٤٢٨)، إذ رفض الإقرار بأنَّ **مريم** «**والدة الإله**» بعد أنْ اعترفت الكنيسة بذلك، وأدخلت هذا الاسم في نصوص عباداتها وكُتبها. فكان أنِ اجتمعت الكنيسة في **المجمع المسكونيّ الثالث** وذكّرت بإيمانها المستودع منذ أيَّام الرسل.

رفض **نسطوريوس** الاعتراف بإمكانيَّة أنْ تلد **مريمُ** الإنسانةُ المخلوقةُ **إلهاً** هو خالقها، بالإضافة إلى أنَّهُ ميَّز في **شخص يسوع المسيح** بين كائنَين، إلهيّ وإنسانيّ، قائلًا إنَّ مريم وَلدت الإنسان يسوع الذي حمل الإله، وحاشا أن تلد الإله. ففيما يختصّ بمريم العذراء، إذاً، يقول **نسطوريوس** إنّها «والدة المسيح الإنسان»، وليست والدة **الكلمة الإله**. لذلك، ينبغي أن ندعوها «والدة المسيح»، لا «بوالدة الإله». وهذا ما رفضته الكنيسة بِقُوَّةٍ، إذ قالت بعدم جواز الفصل في **يسوع المسيح** بين شخصين، إلهيّ وإنسانيّ. **فيسوع كائن واحد إلهيّ** اتّخذ الطبيعة الإنسانيّة كاملة، ولم ينفصل البتّة عن **الألوهة**، وإنْ للحظة واحدة.

واجه **القدّيس كيرلُّس الإسكندري** (+٤٤٤) **بدعة نسطوريوس بحزمٍ شديدٍ**، فاعتبر أنَّ رفض القول بأنَّ **مريم والدة الإله** ينتج منه رفض وحدة **الشخص** في **يسوع المسيح**. **وكيرلُّس** لم يتوانَ عن التأكيد على أنَّ يسوع الإنسان هو نفسه **كلمة الله**. لذلك يمكن القول إنَّ «**ابن الله وُلد من مريم**» بحسب طبيعته البشريَّة، وإنَّ «ابن **مريم** قد خلق الكون» بحسب طبيعته الإلهيَّة. وانطلاقًا من هذا المبدأ يصحُّ القول حقًّا «إنَّ مريم **والدة الإله**»، لأنَّ الشَّخص الذي وُلِدَ منها هو نفسه **ابن الله الكائن منذ الأزل مع الله** والذي **صار إنسانًا** لأجل خلاص البشر.

انعقد **المجمع المسكونيّ الثالث** لإيمان الكنيسة، **وتبنّى تعاليم كيرلُّس**. ومن أبرز ما جاء في تحديدات المجمع اللاهوتيَّة: «بما أنَّ العذراء القدِّيسة قد وَلدت بالجسد **الإله** الذي صار واحدًا مع الجسد بحسب الطبيعة، فإنَّنا ندعوها **والدة الإله**». وكما قلنا، فالتحديدُ المجمعيُّ يتوسَّع أكثر في شأن شخص **يسوع المسيح** والتأكيد على أنَّهُ شخصٌ واحدٌ، فيقول الآباء المجمعيُّون: «إنّما نعترف بمسيح واحد هو الكلمة المولود من الآب، وهو الذي اتّخذ جسدًا (...) ليس إنَّ إنسانًا اعتياديًّا وُلد من مريم العذراء ثمَّ حَلَّ عليه الكلمة (...) ولكنّه مع اتّخاذه لِذاته جسدًا بقي كما كان إلهًا».

في عام ٤٣٣ وضع لاهوتيُّو الكنيسة الأنطاكيَّة نصًّا دُعِيَ «**قانون الوحدة**»، لأنَّهُ أعاد الوحدة الكنسيَّة بعد الاضطرابات التي سبَّبها **التعليم النسطوري الخاطئ**. فأعاد «**قانون الوحدة**» التأكيد على مقرّرات **المجمع المسكونيّ الثالث**، ومن أبرز ما جاء في هذا القانون: «لا نعترف **إلَّا بمسيحٍ واحدٍ وابنٍ واحدٍ وربٍّ واحدٍ**. وبسبب هذا الاتّحاد (بين الطبيعتين الإلهيَّة والإنسانيَّة) المنزَّه عن الاختلاط، نعترف بأنَّ العذراء القدِّيسة هي والدة الإله، لأنَّ الإله الكلمة صار فيها جسدًا، أي صار إنسانًا».

يجد اسم «**والدة الإله**» جذوره في الكتاب المقدّس، ولا سيَّما في قول أليصابات وهي حاملٌ بيوحنَّا المعمدان، حين زارتها **القديسة مريم** نسيبتها وهي حامل بيسوع: «فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟» (لو ١: ٤٣). **فيسوع المسيح هو «الرَّبُّ»**، واسم «**الرَّبُّ**» من أسماء الله الحُسْنَى. فإذا كان **المسيح** هو **الرَّبُّ**، فأُمُّ **الرَّبِّ** هي «**والدة الإله**». فبشفاعاتها، يا مَن وُلد منها، ارحمنا وخلِّصنا. ■

السيِّدة الكليَّة القداسة تتشفَّع، وتَتَتَبَّع الرُهبان الذين في محيطها (في القلالي) كَأُمٍّ طَيِّبَةٍ

عندما كان **الشيخ ثيوفيلكتوس** مُبتَدِئًا في الإسقيط الجديد (نِيَا سكيتي)، كان يُعاني من **آلامٍ كثيرة**، ويبكي من الأوجاعِ القاسية التي لا تَعزِيَةَ فيها. فَجْأَةً سَمِعَ صوت من **أيقونة السَّيِّدة** يقول له:

ــ «لِمَ البُكاءُ؟ لماذا تخاف؟ أَأَتْرُكُكَ أنا؟، ما دُمتَ تؤمن بشفاعاتي فَأَنا معك دائمًا.» (حديث أكَّده أحد النساك في نِيَا سكيتي، الذي عاصَر هذه العجيبة).

في الواقع لم تتركه **السَّيِّدة** أبدًا، لكن كَأُمٍّ طَيِّبة كانت تَتَشَفَّع به على الدوام كما كانت تفعل بكل الآباء الساكنين في محيطها.

﴿ أيقونة **السَّيِّدة** موجودة في الهيكل الرئيسي للإسقيط الجديد، ﴾

كان **القديس سلوان الآثوسي** في صلاته لا يَكِفُّ عن تِرداد هذه الكلمات:

«كيف أشكركَ، ربِّي، على نِعَمِكَ الجزيلة؟! فللجاهل والخاطئ أنت تكشف أسرارك. العالم يَلُفُّهُ اليأس وإلى الهلاك يمضي، وأنت تفتح لي أبواب الحياة الأبديَّة، أنا آخر الكلِّ وأسوأ الجميع! أَيُّها السَّيِّدُ ليس في وِسْعِي أنْ أَخْلُصَ وحيدًا، فَهَبِ العالم كُلَّهُ أنْ يعرفكَ.»

ومن أقواله المُؤَثِّرة عن **والدة الإله**: إنَّ السَّيِّد **يسوع المسيح** قدَّمَ لنا **هدِّيَّةً**. أعطانا **والدته الكليَّة القداسة**. هذا عطاؤُه لنا، فهي فَرَحُنا وَأَمَلُنا، وهي أُمُّنَا بحسبِ الرُّوحِ، وهي قريبة منَّا بالطبيعة بحسب الجسد كإنسان، وكُلُّ نفسٍ مسيحيَّة تَنْشَدُّ إليها بِحُبّ. !»

وقف القديس كيرلس الكبير يتحدث أمام آباء مجمع أفسس، قائلًا: "السلام لمريم والدة الإله، كنز العالم كله الملوكي، المصباح غير المنطفئ، إكليل البتولية، صولجان الأرثوذكسيَّة، الهيكل غير المفهوم، مسكن غير المحدود، الأم وعذراء، ...

يعلّم القديس يوحنا الدمشقي: **« أن ابن الله وكلمته ضمّ إلى نفسه، بدماء والدته النقيَّة والطاهرة، الجسد الحيّ إلى نفسٍ عقليَّة ونوسِيَّة، ليست من زرعٍ، بل مخلوقة بالرُّوح القُدُس.»**

بالطبع، عندما نتحدّث عن الحبل بالمسيح في رحم والدة الإله بقوة الرُّوح القُدُس وفعله المُبدِع يجب ألَّا نفصل الرُّوح القُدُس عن الثالوث القدُّوس. معلوم من التعليم الآبائي أنَّ قوةَّ الإله الثَّالوث مشتركة. خَلْقُ العالم وإعادة خَلْقِ الإنسان والعالم، تمَّت وتتمُّ بقوَّة الإله الثالوثيّ المشتركة. بالتالي، لم يخلق الرُّوح القُدُس جسد المسيح وحده بل الآب أيضًا والابن، أي كُلَّ الثالوث القدُّوس. التعبير عن هذه الحقيقة هو أنَّ **الآب** أيَّدَ تجسُّد ابنه، **وابن الله وكلمته** بذاته اجترح تجسُّدَهُ والرُّوح القُدُس أنجَزَه. **(الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس)**

يقع **دير الڤاتوبيذي** على حافَّةِ خليج واسع في النصف الشمالي **لجبل آثوس**. يبعد عن كارياس ثلاث ساعات سيرًا على الأقدام. وهو مكرَّس **لبشارة والدة الإله**.

بحسب التقليد، أنشأ **الأمبراطور قسطنطين الكبير** الدير أولًا ثم دمرَّه **الأمبراطور يوليانوس الجاحد** وأعاد بناءه **الأمبراطور ثيودوسيوس الأول** عربون شكر لعودة ابنه أركاديوس سالمًا. تقول القصة أنَّهُ عندما كان أركاديوس مُبحرًا من روما إلى القسطنطينيَّة، تحطمت سفينته على ضفاف **شبه جزيرة آثوس**، لكن **والدة الإله** تَدَخَّلَتْ وأنقذت الأمير فجرفته الأمواج إلى الشاطىء حيث وُجد نائمًا بين أشجار العُلّيق ومنه أُخذ اسم الدير: شجرة العلّيق (ڤاتو) (*Vato*) وطفل (بيذِي) (*paidi*).

أما التاريخ فيُنسب تأسيس الدير إلى ثلاثة رُهبان إخوة هم: **أثناسيوس ونيقولاوس وأنطونيوس**. هؤلاء جاءوا من **أدرينوبوليس** وأرادوا الإلتحاق **بالقدّيس أثناسيوس الآثوسي** في اللافرا الكبير. وبعد بضعة أشهر في عهدة **القدّيس** أرسلهم ليؤسسوا ديرًا جديدًا.

التيبيكون الثاني لجبل آثوس (١٠٤٦) يُعطي **دير الڤاتوبيذي** المرتبة الثانية بين الأديرة التي كانت موجودة في الجبل. هذه **مَرْتَبَةٌ** ما زال يحتفظ بها إلى اليوم.

وبعد إنشاء **دير الخيلانداري**، في القرن ١٢ من قبل **القديسيَن الملك الصربي سمعان وابنه سابا**، وهما كانا راهبين في **دير الڤاتوبيذي**، جرى التقليد (وهو إلى اليوم) أنَّ رهبان **دير الڤاتوبيذي** يشاركون بالاحتفالات الكنِسيَّة السنويَّة **لدير الخيلانداري** وكذلك رهبان **دير الخيلانداري** في الأعياد السنويَّة **لدير الڤاتوبيذي**.

شَهِدَ **دير الڤاتوبيذي** سِلْسِلَةَ غزواتٍ **من القراصنة والأتراك**. ولكن هذا لم يَحُلْ دون تقدُّم الدير وازدهاره بفضل المساعدات السَّخِيَّة **للأباطرة الرُّوم (البيزنطيِّين)**، ومن ثمَّ **القيصر الرُّوسي**. وكسائر الأديار في الجبل شَهِدَ **دير الڤاتوبيذي** تقلُّبات بين النظام الشَرَكَوِي والنظام الإيديوريتمي. ومن العام ١٩٨٩ م إلى اليوم، يتبع الدير النظام الشَرَكَوِي. **(انظر مجلة نور المسيح، صفحة ٥، عدد شهر كانون ثانٍ رقم *197*)**

القدّيس غريغوريوس بالاماس نَسَكَ بقرب الدير **والقدّيس مكسيموس اليوناني** سيم راهبًا في الدير. وفي العام ١٧٤٩م **أُنْشِئَتِ الأكاديمية الآثوسية** في الدير فأَمَّنَتِ العلم والثقافة للشعب اليوناني خلال الأزمات الصَّعبة.

معالم الدير

من أهم معالم الدير، الكنيسة المركزيَّة الجامعة – الكاثوليكون المكرَّس **لبشارة والدة الإله**. أُنشئ في القرن العاشر على الطريقة الآثوسِيَّة أي على طريقة إنشاء كاثوليكون **دير اللافرا الكبير**. في الكاثوليكون بعض الجداريات التي تعود إلى العهد الرُّومي (البيزنطي) وأعيد رسمها بين القرنين **١٨ و ١٩**. وفي الدير **١٢** كنيسة صغيرة وله **١٩** كنيسة خارج حرم الدير؛ **٥** من هذه الكنائس داخل الكاثوليكون.

قرب حائط الكاثوليكون حوضٌ لتقدِّيس الماءِ وهو مُسَيَّجٌ بأعمدة رفيعة. وقد جرى رسم المكان في العام ١٨١٠ م. مقابل الكاثوليكون قاعة للطعام وهي من القرن **١٢** وجرى رسمها في العام ١٧٨٦ م.

جرسِيَّة الدير هي أقدم جرسِيَّة في الجبل، وقد جرى بناؤها على الطريقة الرُّوميَّة (البيزنطيَّة) حوالي العام ١٤٢٧ م.

شمالَ شرقيّ الجرسِيَّة مكتبة الدير. في المكتبة حوالي ٢٠٠٠ مخطوطة و ٢٥ دَرْجًا والعديد من الوثائق وأكثر من ٣٥,٠٠٠ كتاب مطبوع.

من كنوز الدير جزءٌ من **زنار والدة الإله**، **وقطعة من الصليب المقدَّس**، وقطعة من القصبة ذات الإسفنجة المبلولة بالخلِّ التي قُدِّمت **للرَّبِّ يسوع المسيح** على الصليب، وكأس مصنوعة من حجارة الياسمين (*Jasper*)، وهي هدية من **مانويل كنتاكوزينوس**. وأيقونة مزدوجة **للرَّبِّ يسوع ووالدة الإله** هي المصلَّى السِّرِّيِ **للأمبراطورة ثيودورة** في فترة إضطهاد الأيقونات. **(انظر مجلة نور المسيح عدد شهر شُباط رقم *198*)**

كذلك في الدير عدد من الإيقونات العجائبيَّة سنأتي على ذكرها.

تابعٌ للدير إسقيط القدّيس أندراوس وإسقيط القدّيس ديميتريوس و٢٧ قلاية: ٢٢ قلاية في كوليسو، و ٥ في كارياس.

الأيقونات العجائبيَّة

العذراء الشافية من السرطان أو «مَلِكَةُ الكُلِّ»: (Pandanassa):

في يوم من الأيام أتى شاب إلى الكنيسة لتكريم **أيقونة والدة الإله**. وإذْ اقتربَ منها، أخذ **وجه العذراء القدّيسة**، فجأة، باللمعان وقوّة غير منظورة طرحته أرضًا. فلمَّا عاد إلى نفسه، اعترف أنَّهُ كان يحيا بعيدًا عن **الله** وبأنَّهُ **يتعاطى الشعوذة**. وإثر التَدخُّل العجائبي **لوالدة الإله**، غَيَّر الشَّاب مسلك حياته وغدا مسيحيًّا تَقِيًّا.

هذه **الإيقونة مُجدّدت**، أيضًا، من خلال عِدَّةِ أشْفِيَةٍ لمرضِ السَّرطان المنتشر بكثرة في أيامنا هذه. لهذا **كُتب مديح لهذه الأيقونة** سنة ١٩٩٦، ودُوِّنت أشفية كثيرة من خلال تلاوة هذا المديح بتواتر. نسخة من هذه الأيقونة رُسمت بدمج الألوان مع الماء المقدّس وبُعثت إلى **روسيا** حيث جرت بها عدة أشفية.

العذراء المطعونة (Esfagmeni)

رواية هذه الأيقونة تقول: إنَّهُ في أحد الأيام أبطأ **الشَّماس القندلفت** بسبب انشغاله في تنظيف الكنيسة فأتى إلى المائدة بعد الجميع طالبًا غذاءه. رفض المسؤول عن المائدة أن يعطيه شيئًا مُنبِّهًا إيَّاهُ إلى وجوب الحضور في الوقت المحدَّد لأنَّه هكذا تفترض الحياة المشتركة. (هذه الحادثة تكرَّرت عدَّة مرَّاتٍ). فانفعل **الشَّماس** وعاد إلى الكنيسة وتلفَّظ وهو في حالة من الغضب أمام الأيقونة بهذه الكلمات:«يا والدة الإله حتى متى أخدمك؟ إني أتعب وأتعب وليس لدي شيء حتى ولا كسرة خبز تشدّدُ قواي المنهوكة». قال هذا وأخذ السكين الذي كان يزيل به الشمع عن المصابيح **وطعن به خدَّ السَّيِّدة العذراء الأيمن**. فانغرست السكين فيها **فاصفرَّ للحال رسم العذراء** وفار الدَّمُ من الجرح فسقط الطاعن وَعَمِيَ ويبست يده. لكن بفضل صلاة **رئيس الدير** والشركة، ظهرت **والدة الإله** لرئيس الدير وأعلمته أنَّ الراهب سَيُشْفَى. أمضى هذا الراهب بقيَّة حياته يصلِّي مقابل الأيقونة طالبًا الغفران. أخيرًا ظهرت له **والدة الإله** وَأَفْرَحَتْهُ بالعَفْوِ عنه. ولكن أنذرته بأنَّ **يده الجسورة** لا بُدَّ أنْ يحكم عليها في **مجيء المسيح الديّان**. ثم منحته الصفح والرَّحمة فأبصرَ وعاد كما كان. **أمَّا يده فبقيت يابسة حتى مماته**، وهي إلى الآن تُعرض أحيانًا نادرة، على الزائرين موضوعة في صندوق تحت الأيقونة العجائبيَّة وهي **غير منحلَّة وسوداء**.

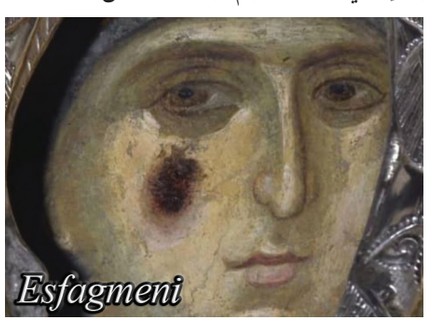

العذراء التي أصيبت بطلقة رصاص (Pyrovolitheisa)

عام ١٨٣٣م، عندما كان **الأتراك يحتلّون الجبل المقدَّس**. تجرأ جندي وأطلقَ النَّار على أيقونة **والدة الإله** الحائِطِيَّة التي فوق باب مدخل الدير فأصاب يدها اليُمنى؛ **وأصيب هو بالجنون فشنق نفسه** في شجرة زيتون مقابل مدخل الدير. هذا الجندي كان ابن أخ قائد الفرقة المحتلَّة، فأصبح الدير في خطر إلَّا أنَّ رفيق هذا الجندي شَهِدَ ما حصل، ونقل الخبر للقائد الذي شعر بأنَّ هذا فيه تدَخُّل إلهيّ ورفض أنْ يدفنَ جسد الجندي.

العذراء المُعزِّية (Paramythia) «لا تتكلّمي يا أمي»

في السنة ٨٠٧ م اقتربت **عصابة لصوص** من الجبل تنوي الدخول إلى الدير عندما يفتح أبوابه في الصباح من أجل نهب ثرواته الكثيرة والفتك برهبانه. في الغَدِ ذهب كُلٌّ من الاخوة إلى قلايته للاستراحة بعد صلاة السَّحَر، وبقي رئيس الدير في الكنيسة. فسمع وهو يصلِّي صوتًا يقول له :« لا تفتحوا اليوم أبواب الدير بل اصعدوا إلى السور واطردوا اللصوص». فاضطرب وذهب إلى مصدر الصوت إلى أنِ اقتربَ من الأيقونة التي كانت على الحائط الخارجي للكنيسة، فأمعن النظر فيها . فبدت له منها أعجوبة مُدهشة وهي:

أنَّهُ رأى رسم **والدة الإله** ورسم **طفلها** على يدها وكأنهما حيَّان. فبسط الطفل الإلهي يَدَهُ على فَمِ أُمِّهِ وأدار وَجْهَهُ إليها وقال لها:«لا يا أمي لا تقولي لهم هذا بل دعيهم يُعاقَبون». لكن والدة الإله أعادت قولها للرئيس مرَّتين وهي مجتهدة في إمساك يَدِ ابنها وربها وفي تحويل وجهها عنه إلى الجهة اليمنى.

تخشَّع الرئيس ونادى الرهبان وقصَّ عليهم ما حدث له مُعيدًا ما قالت **والدة الإله** وما قال لها ابنها **الرَّبُّ يسوع** بسبب كسلهم وتوانيهم في الحياة الرَهبانيَّة. ولاحظ الاخوة أنَّ رسم **العذراء** ورسم ابنها **الإلهيّ** وهيئة الأيقونة بشكل عام قد تغيّرت وصارت غيرما كانت عليه. فعظَّموا **والدة الإله** لحمايتها لهم **والرَّبُّ يسوع المسيح** الذي رحمهم من أجل **شفاعتها** وتعاهدوا على السلوك حسنًا بجدٍّ ونشاط في حياتهم الرهبانيَّة. ثم صعدوا إلى السُّور فدفعوا **هجوم عصابة اللصوص**.

بقي رسم **والدة الإله** ورسم ابنها **الإلهيّ** إلى الآن على المنظر ذاته الذي تحوَّلا إليه عندما تكلَّما أمام رئيس الدير. أي بقي وجه **العذراء** مُحوَّلًا إلى كتفها الأيمن ووجه طفلها متجهًا إليها . تذكارًا لهذه الحادثة يُشعَل، من ذلك الحين، قنديل أمام هذه **الأيقونة المُقدَّسة**، وقد أُقيم لها كنيسة على اسمها حيث يُقام كُلَّ يوم القُدّاس الإلهي وصلاة البراكليسي. لهذه الأيقونة خاصيَّة تلفت الانتباه أَلَا وهي أنَّ منظر **وجه والدة الإله** يعبِّر عن المحبَّة والحنان ويفيضُ باللطف، أمَّا وجه **الطفل الإلهيّ** فهو عابس متجهِّم ويلاحَظ في معالمه كلِّها الغضب والوعيد ونظره طافحًا بالقَسْوَةِ ويبدو وكأنَّهُ **المسيح الدَّيَّان** .

العذراء التي ملأت أجران الدير بالزيت *(Elaiovrytissa)*

الأيقونة قَيِّمَةٌ على مخزن السوائل (الزيت والنبيذ) *(docheion)* في الدير، ويحكَى في صَدَدِهَا هذه الأعجوبة: عندما كان **المغبوط جَنَّاديوس** مسؤولًا عن مخزن السوائل في **دير الڤاتوبيذي**، ذهب، ذات مرة، إلى رئيس الدير وأعلمه أنَّ مخزون الزيت نفد ويجب الإمساك عن تسليم الزيت والاحتفاظ بما تبقى للحاجاتِ في الكنيسة. أجابه رئيس الدير: ألَّا يقلق بهذا الشأن، ويستمر في تسليم الزيت بحرِّية لمن يطلب. ففي يوم من الأيام دخل **المغبوط جَنَّاديوس** ليسحب آخر كمِّية من الزيت وإذا به يجد، أنَّ الجرَّة قد امتلأت، وفاض منها الزَّيت وسال حتى وصل إلى باب المخزن. تفوح من الأيقونة رائحة طيب زكيَّة وهي معروفة أيضًا بعذراء (ذوخياريسًا) *(Docheiarissa)*.

عذراء البئر *(Ktitorissa or Vimatarissa)*

في إحدى المرات التي هجم البرابرة على **دير الڤاتوبيذي** بقصد النَّهب والتهديم والقتل، استطاع احد الرهبان ويدعى البار ساڤاس وهو المسؤول عن الذخائر والأواني المقدَّسة، أنْ يضع هذه الأيقونة والشمعة المضائة أمامها باستمرار مع صليب حديديّ ثمين، يعود إلى زمن **الملك قسطنطين الكبير**، في بئر كان قُرب الدير. هَرَبَ الراهب و استطاع أن يصل إلى المرفأ، ومنه انطلق إلى وطنه في جزيرة كريت حيث أقام عند أقاربه، واستطاع أنْ يتابع حياته الرهبانِيَّة كما كان في الدير. وقد دَوَّنَ ما حدث من هجوم البرابرة، وكيف أنَّهُ استطاع أنْ يُخفيَ الأيقونةَ مع الصليب، وَرَسَمَ علامات توضح مكان البئر. مات هذا الراهب وعلم أقرباؤه، بعد وفاته، بأمرِ المخطوطة التي كتبها بشأن الأيقونة فأرسلوا إلى الدير مخبرين بهذه الحادثة، وكان قد مضى عليها سبعون عامًا. تسلَّم الرهبان الموجودون آنذاك في الدير هذا الخبر. فشرعوا في البحث عن مكان البئر مستعينين برسم الراهب الى أن استطاعوا الاهتداء اليه بعد بحث وتنقيب كبيرَين. كشفوا غطاء البئر ويا للعجب فقد رأوا الأيقونة طافية على سطح الماء منتصبة، وأمامها الصليب الحديدي منتصبٌ ايضا والشمعة مشتعلة كما تركها الراهب. فَرِحَ الرهبان كثيرًا ونقلوا الأيقونة والصليب بزياح، وبنوا مكان البئر كنيسة وجعلوا المائدة المقدّسة فوق البئر. حاليًّا **الأيقونة** في الهيكل موضوعة وراء **المائدة المقدسة**. في الأعياد الكبيرة، وفي الأحد الأول من كُلِّ شهر يقوم الرهبان بزياحٍ كبير حول الدير بهذه الأيقونة ثم يأتون بها إلى امام مكان تقديس الماء، حيث يقومون بخدمة تقديس الماء امامها ثم يعودون بها الى الهيكل. امَّا الصليب فموضوع على المائدة، وأمَّا الشَّمعة التي وجدها الرهبان آنذاك فدخلت في **تقليد الدير** بحيث إنهم كلَّما أرادوا أنْ يصنعوا شمعًا يضعون قطعة صغيرة من تلك الشَّمعة في وسط الشمع المراد تصنيعه كَبَرَكَةٍ.

العذراء المعترضة *(Η Παναγία η Αντιφωνήτρια)*

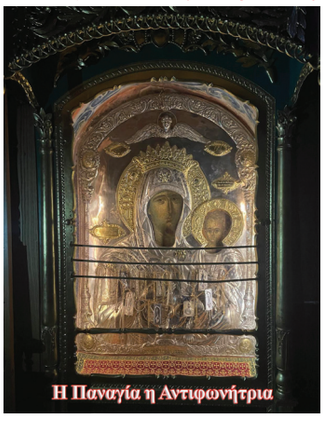

إنها إيقونة موجودة على الجدار الشمالي في الباحة الثانية بالكاثوليكون (الكنيسة المركزيَّة)، حيثُ تقام فيها صلاة نصف الليل، فمن الباب الرئيسي للكنيسة المركزيَّة، توجد باحة أولى، تقام فيها صلوات الليتي، وبعدها باحة ثانية وهي لصلاة نصف الليل (**لذا دُعيت الباحة الثانية ميسينيختا، أي نصف الليل**)، وبعدها الكنيسة المركزيَّة، وفيها تتم خدمة السحريَّة .

سميت الأيقونة **بالعذراء المعترضة** لأنَّهُ سمع من هذه الإيقونة صوتًا (اعتراض، وعدم موافقة). يذكر التقليد أنَّ **الملكة بلاكيذيا ابنة الإمبراطور الرُّومي ثيودوسيوس الكبير**، زارت الدير ذات مرَّة. وبينما هي تتقدَّم بِنِيَّة الدخول إلى باحة الكنيسة من الباب الجانبي الصغير سُمِعَ صوتًا قادمًا من الأيقونة: «**قفي ولا تتقدمي، لماذا تجرَّأتِ كامرأة وأتيت إلى هذا المكان؟**». فخافت **الملكة** وطلبت المغفرة من **مريم العذراء** وغادرت **جبل آثوس** على الفور. وتخليدًا لتلك المعجزة قامت ببناء **كنيسة أجيوس ديمتريوس** قرب الإيقونة، على نفقتها الخاصة. (أنظر الصورة ص ٨ بالعنوان فوق) ■

(تتمة من العدد السابق): وفي لقاءاتهم الأُخرى، كانت اليروندِيسا إيفستوخيَا قد اتخذت القرار بإبعادِ أُختين من ديرنا، لأنَّهُما كانتا غير مُطيعتين وتُولِّدان الاضطراب للأخَوِيَّة. سَألت **البارّ پورڤيريوس** حول هذا الموضوع، فأجابها بِحَزمٍ: «ليسَ لديكِ الحقّ أيَّتها اليروندِيسا ، الآن وقد صارَتَا راهِبتين أنْ تقومي بطردِهما، لأنَّكِ تحملين مسؤوليَّةً عن ذلك. فإذا أُصيبَتا باليأسِ، لا أعلم ماذا يمكن أنْ تَعمَلا، وعندها ستكونينَ أنتِ المسؤولة؛ سأقول لكِ نصيحة حتى تعرفي للمرَّةِ القادمة: عندما تأتي فتاة راغبة في الرهبنة، ستخدمينها تحت التجربة لحوالي ثلاث سنوات على الأقل **بِمَحَبَّةٍ كبيرة**، فإذا وَجدْتِ أنَّها لا تَصلُح أنْ تكون راهبة، فَلَكِ كُلُّ الحقِّ أنْ تقومي بطردها، بينما بعد الرِّسامة الرهبانِيَّة فلا يمكن طردها. وتابع بِقوله: «لماذا تقومين بِكُلِّ هذا النُسك؟ ألَا تستطيعين أن تَصبري قليلًا؟ ستحظين على أجركِ.» على اليورنديسا أن (تتواضع) (تُواضِع ذاتها في بعض المرَّات).

ـ تعرَّفت أخوات أُخريات من ديرنا على البارّ پورڤيريوس.

ـ عندما تأكَّدت الأخت أوليمبيَّا من وجود انتشار السرطان الذي كانت تُعاني منه، لم تكن تقبلُ بإجراءِ أيَّةِ عمليَّة جراحيَّة، فكانت تُؤمن أنَّها إنْ سألت **البارّ پورڤيريوس**، سيُعطيها بَرَكةً بِأَلَّا تزور الأطباء. فذهبت لمُقابلته على هذا الرجاء. تحدَّثا لوقتٍ كافٍ وفي النهاية قال لها بِجِدٍّ: نحنُ مُجبرون، أيَّتُها الأخت أوليمبيَّا، أنْ تُطِيعي الأطباءَ، لأنَّ الرَّبَّ أعطانا إيَّاهم من أجلِ شفاء صحتنا ». «فالطبيب والطب نعمةٌ من الله»، لذا ستقومين وتُتمِّمين بما يقولون لَكِ، والباقي سَيَتَكَفَّلُ بِهِ **الرَّبُّ**، هكذا تَبِعَت وصيَّة القديس، فعاشت ٢٥ سنة أخرى، بينما كان الأطباء قد أعطوها مدة حياة قرابة خمس سنواتٍ كَحَدٍّ أقصَى.

ـ ذهبت الأُخت الدائمة الذِكرِ ثيوكتسيني إلى أثينا، لكي تُجري عمليَّة جراحيَّة في عينها التي كانت تعاني من مشكِلَةٍ صحيَّة فيها. وقبل إجراء العمليَّة الجراحيَّة، ذَهَبت لِأخذِ بَرَكَةِ **البارّ پورڤيريوس**. وبعد دخولها إلى قِلَّايته، وبعد أنْ سألها من أينَ هي، وما هي مشكلتها، أشارت إلى عينها. فأجابها **البارّ پورڤيريوس**: «قولي للطبيب أن يُجري عمليَّة جراحيَّة في العين الأخرى، وليس بالعين التي أشرت إليها، فالعين الأُخرى هي المريضة. وبالفعل طلبت الأخت من الطبيب أن يفحص العين الأُخرى، فاتَضَحَ أنَّ المشكلة موجودة في العين الأخرى (التي لا تؤلمها). تمَّت العمليَّة الجراحيَّة بنجاح بِبَرَكَةِ صلوات **البارّ**.

ـ تروي الأخت كاسياني، أنَّها زارت **اليروندا، پورڤيريوس في ٢٤ آب** سنة ١٩٨٠ مع صوفيَّا اورفانيذو (ابنة روحيَّة للبارّ پورڤيريوس). تقول: عندما ضربتُ له مطانية وَقَبَّلْتُ يده الكريمة، أَمسَكَ لبعض الوقت يدي وهو يتطلَّع إِليَّ، وسألَني: أنتِ رَسَّامة أيقونات؟

فأجبتُهُ: أَجَلْ، أيُّها اليروندا، أنَا رَسَّامة أيقونات.

وبعدما غادرتُ الغرفة (القلاية)، بينما كنتُ أساعد في الحقلِ في بعض الأعمال التي كانوا يقومون بها هناك، دعاني **البارّ پورڤيريوس** لِنَجلس جانبًا كي نتحدَّث، وعندما قلتُ له عن صعوباتي في خدمتي في ممارسة الطَّاعة، وعدم امتلاكي الصَّبر وسرعة غضبي. أجابني عندها: «إنَّ مُعَلِّمَتَكِ، هي مسؤلة قاسية، أليسَ كذلك؟ حاولي أنْ تُراعيها قدر إمكانِكِ. هذا سيُفيدُكِ نفسيًّا، وهي تُعَلِّم مهنة رَسم الإيقونات».

« بعدها قلتُ له أنَّه ليس لدينا وقت كافٍ للصلاة في ديرنا، وأَنِّي أرغب في كثيرٍ من الأحيان لو كنتُ في ديرٍ آخر».

عندها حَزِنَ، ورَفَعَ نبرةَ صوتِهِ وقال لي: «يا جاهلة، لا أستطيع أن أفهم ماذا تعنين بكلمة صلاة! تُريدين أنْ تكوني في قلَّايَتِك رافعةً يديكِ حتى تقومي بالصلاة! عندما كنتُ في **الجبل المقدَّس**، لم أَكُن أتَوَقَّف، من الأشغال، فوق تحت، حفر، نقش على الخشب، لكن كنتُ أمسك المسبحة بيدي مردِّدًا صلاتي المُفَضَّلة! لا تُفَكِّري بالذَّهابِ إلى دير آخر، إنَّها تجربة **من الشرير العدوّ**، بهدفِ تدميرِكِ.

التتمة في العدد القادم

اليوم تترنَّم **الرُّتَبُ الملائكيَّة** بألحان التسابيح والفرح، ويضيء نور البشارة **بالمسيح** مُتلألئًا على المؤمنين، اليوم هو ربيعنا المُبهج، اليومَ تُشْرِقُ شمسُ البِرِّ – **المسيح** – بأشعَّتِهِ الوهَّاجة علينا، فينيرُ أذهاننا.

اليوم تشع نعمة **الله** والرَّجاء في غير المنظور موضحًا السِّر المكتوم منذ الأزل، اليوم تتحقَّق نبوة داود المرنم: «لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ وَلْتَبْتَهِجِ الأَرْضُ.» (مز ٩٥: ١١) .... اليوم استعلان لسِرِّ المسيحيِّين الذين بإرادتهم وضعوا رجاءهم في **المسيح**.

اليوم جاء **جبرائيل** الواقف أمام **الله** إلى **العَذراءِ كُلِّيَّةِ الطُّهْرِ** حاملًا البشارة المفرحة قائلًا «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا!» (لو١: ٢٨)، ولمَّا كانت **العذراء** في حيرة، كَشَفَ لها **الملاك** ملخَّص الرسالة: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ... تَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ، هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ، فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟... اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ.» (لو١: ٣٥).

اختارتِ النعمةُ **مريمَ** دون سواها، لأنَّها برهنت على رزانتها وسط كُلِّ الأجيال، فلم تكن مثل **حواء الأولى الفاسدة الذِّهن** التي **خدعها الشيطان بِسُمِّ قُوَّتِهِ المهلكة**، بل **مريم** هذه بفضيلتها رفعت مُضايقات القديسين، وفيها وحدها صَلُحَ سقوط هذه **الأم الأولى حواء**.

في حيرة تساءلت **العذراء** عن مصدر هذه الحكمة والبركات والكنوز والعطايا السماويَّة، إنها وجدت نعمة عند **الله**، ليست حسب مقاييس الطبيعة، إنَّها تعلم الأمور المخفيَّة حتى عن الآباء والأنبياء، إنَّها تعلم ما كان مختومًا حتى عن الملائكة، إنَّها التي تقبَّلت وحدها الأمور التي جهلها الملهمون من البشر، لأنه حيث يحلّ **الرُّوح القُدُس**، يكشف الأمور التي سبق تدبيرها وحيث تكون النعمة الإلهيَّة حاضرة، يكون كل شيء **ممكنًا بالله**.

وكما أنَّ الينبوع المتدفق ينبع مجارى مياه، هكذا أيضًا هذا الينبوع الدَّائم التدفُّق والدائم الحياة يفيض نورًا للعالم، نورًا دائمًا وحقيقيًا هو **المسيح** إلهنا الذي يُفَرِّحُ العالم كلَّه، وقد لاقَ بالملاك أنْ يقول **لمريم**: «السلام لك يا ممتلئة نعمة، الرب معك». إذ كان يُلْقي فيها كنز النعمة، وهي وحدها من بين كل الأجيال قامت **كعذراء طاهرة جسدًا وروحًا** تحمل ذاك الذي يحمل كُلَّ الأشياء.

لقد خاطبها الملاك «الرَّبُّ مَعَكِ» **الله** بنفسه معك وليس زوجًا أرضيًّا، معك **إله** التقديس، **أبُ** الطهارة، ينبوع عدم الفساد، واهب الحريَّة، خادم الخلاص، مُعطي السلام الحقيقيّ، هذا **الإله** معك وفي نفس الوقت **يتجسَّد** منك.

السلام لك ... معك مصدر النُّور الذي يضيء لكُلِّ المؤمنين به.

السلام لك ... يا من يُشرق فيك شمس البرِّ، وزهرة الحياة غير الدَّنسة! وسكن فيك الذي يُقدِّس كُلَّ الأشياء.

السلام لك ... يا روضة زكيَّة الرَّائحة، وكرمة دائمة الإزهار، **السلام لك** ... أيتها التربة غير المفلحة التي أثمرت بوفرة، وأنجبت ما يفوق الطبيعة، فقد جعل **الله الكلمة** الذي هو من فوق، لَهُ مسكنًا فيك.

لقد اشتهى الآباء والأنبياء أنْ يروه ولم يروه، بعضهم تنبَّأ ونظر رؤى وظلالًا ورموزًا، أمَّا **مريم العذراء** فهي وحدها التي أعلن لها **رئيس الملائكة جبرائيل بنفسه** بطريقة واضحة، مُبَشِّرًا إيَّاها بالبشارة المفرحة.... وهكذا تقبلت وأنجبت اللؤلؤة الثمينة التي لا تُثَمَّن.

فهي بحقٍّ قدس الأقداس بقبولها كنز القداسة الكامل، وقد سمعت رئيس الملائكة، وأعلن لها الأسرار الكاملة بوضوح، فلنُكرِّم ونُطوِّب ونمدح قضيب يسى، التي قمَّطت ذاك الذي يُغطِّيه النُّور كثوب (مز ١٠٣: ٢).

لقد أَضْجَعَتِ **المسيح** في مذود، وهو ذاك الجالس على الشاروبيم والممجد من الطغمات العُلويَّة، في المذود المخصَّص للحيوانات غير الناطقة اضطجع **كلمة الله**، لِيُقَدِّم للبشريَّة، التي صارت غير عاقلة بإرادتها، بصيرة العقل الحقيقيّ.

في الموضع الذي يأكل فيه القطيع، رقد الخبز السماوي لكي يقدم قوتًا روحيًّا للذين يعيشون على الأرضِ كالحيواناتِ، لم يكن له مكانٌ في المنزِل هذا الذي أسَّسَ السماء والأرض!! وإذ هو غنيّ افتقر! واختار اتضاعًا عجيبًا من أجل خلاص طبيعتنا، لكي نرث صلاحه، هذا الذي كَمَّلَ كُلَّ بِرٍّ في أسرار تدبيره غير المنطوق بها.

في السماء كان في حضن الآب، وفي مغارة المذود اضطجع بين يدي أمه، وقد أحاطت به طغمات الملائكة مترنمة وممجدة، ففي السماء كان جالسًا عن يمين الآب، وفي المذود استراح كما لو كان على الشاروبيم، إذ جاء ليُتَمِّمَ آلامَهُ الخلاصِيَّة ويمنحنا الفرح الدائم غير المُدرك.

غير الجسدي قدَّم تحيَّة لمن في الجسد: «السلام لك يا ممتلئة نعمة الرَّبُّ معك».

السلام لك ... لأنَّكِ بالحقِّ مستحقَّةٌ للفرحِ، وَلَبِسْتِ ثوب النقاوة وتمنطَقْتِ بالرَّزانة.

السلام لك ... لأنَّ نصيبك هو مركبة الفرح السماوي.

السلام لك ... لأنَّهُ مِنْ خلالك صار الفرح للخليقة كلها، وعن طريقك استردت البشريَّة كرامتها.

لم تضطرب مريم لأنَّ بتوليتها أَعْطَتْهَا نوعًا من المساواة والمشابهة مع الملائكة، ولم تتسخ أو تنطفئ شعلة بتوليتها.

ومن خِلالِ الملاكِ المُبَشِّر جبرائيل قدَّمت كُلُّ الطُغمات السَّماويَّة السلام للعذراء، بَلْ وربُّ الطغمات السَّماويَّة وربُّ كُلِّ الخليقة اختارها بنفسه، لأنها قديسة صالحة، وخلال قداسة أحشائها وطهارتها ونقاوتها يولد «اللؤلؤة المُضيئة» من أجل خلاص العالم كُلِّهُ.

جسدك أطهر من الذهب وأحشاؤك رآها حزقيال كالبلور، إنها مزروعة في بيت الله كشجرة الزيتون المثمرة التي ظلَّلها الرُّوح القُدُس وعن طريقها دُعِيَنا أبناء وورثة ملكوت المسيح! هي فردوس غير فاسد دائم الإزهار، هي مجد العذارى، وفخر الأمهات، هي المعين الأكيد للمؤمنين، ومثال الأتقياء، هي ثوب النُّور ومسكن الحقّ، هي مقام البرِّ، كُلُّ من يحبها ويأخذ من بتوليتها النقيَّةِ الطهارة يتمتَّع بنعمة الملائكة، فكُلُّ من يحفظ سراج البتوليَّة غير منطفئ يستحق أنْ ينال الأبديَّة التي لا تذبُل، ومن يحفظ نفسه بثوب العفَّة غير الدَّنِس، يُؤْخَذُ إلى جمال البرِّ السريِّ، ومن له زيت إضاءة الفهم، وبخور الإدراك النقيّ، يرث وعد الكرامة الروحيَّة والتبني الرُّوحي.

بلياقة أُرسلت النعم إلى العذراء القديسة، والاسم الذي أُعْطِيَ لها كان ملازمًا لها، فقد كانت تدعى «مريم» أي استنارة، وأي شيء أكثر ضوءًا من نور البتوليَّة العذراويَّة؟ ولهذا السبب دعيت الفضائل «عذارى»... إنها البشارة السَّارة الخاصَّة بتدبير المخلِّص الذي كشفه للضَّالين وأعلنه للبائسين وأضاءه للعميان، ويقيم المُوتى ويعتق العبيد ويحرِّر المأسورين.

لم يكن له موضع في المنزل (لو٢: ٨) ذاك الذي أَوْجَدَ كُلَّ الأرض... كانت تُقيته باللَّبن، ذاك الذي يقيتُ الكُلَّ ويهب حياة لكُلِّ كائن حيّ، وقمطت بالخِرَقِ ذاك الذي يصون المسكونة كلها... واضطجعت في المذود الجالس فوق الشاروبيم (مز٧٩: ١).

أشرق نورٌ سماوي حول ذاك الذي يضيء المسكونة كلها! جنود السماء سبَّحته لأنَّهُ المَمَجَّد في السماء قبل الدهور، ونجمٌ بضيائه قاد الآتين من بلاد بعيدة إلى ذاك الذي هو مشرق بحقٍّ.

ومن المشرق جاء الآتون بالهدايا إلى الذي افتقر من اجلنا، وأمَّا والدته فقد حفظت هذا الكلام وخبأته في قلبها كمن يتقبل كُلَّ الأسرار...

جاء إليها جبرائيل ليعلن الخلاص للعالم كُلِّهُ وليحمل علامة شفاء آدم ويحوِّل خزي جنس النساء إلى كرامة، وَيُعِدَّ حجال العريس طاهرًا!!

ما دامت أيَّامنا معدودة، فلنسعَ بهمَّةٍ ونشاط كمن دعاهم إلههم وملكهم لئلا نوجَد بلا ثمر يوم الوفاة فنهلك جوعًا، ولنُرضِ الرَّبَّ كما يرضي الجندُ الملكَ، لأنَّنا سنُطالَب بدقَّةٍ ما دُمنا قد انخرطنا في خدمتِه. ولنخشَ الرَّبَّ كما نخشى الوحوش, لأني رأيت أُناسًا ذاهبين ليسرقوا وهم لا يخافون الله، ولكنهم إذ سمعوا في المحلَّة صوت كلاب رجعوا أدراجهم فورًا، فما لم يصنعه خوف الله صنعه خوف الوحوش. ولنحبّ ربَّنا كما نحبّ أصدقاءنا، لأني كثيرًا ما شاهدت أُناسًا قد أساؤوا إلى الله ولم يبالوا بذلك البتَّة، ثمَّ رأيتهم هم أنفسهم قد أَسخطوا أَحِبَّاءَهُمْ لسببٍ تافه، فسعوا لتلافي الأمر بكُلِّ وسيلة وندم واعتذار. لو استدعانا ملك من ملوك الأرض ورغب إلينا في أنْ نخدمَ بين يديه لما تنصَّلنا أو

التتمة في صفحة١٦

المحبّة وامجاد الدهر الآتي:

وما هو المثير للاهتمام في هذا؟ سنعرف ذلك إنطلاقًا من هذه الحياة الحاضرة، سَنُدرِك ذلك من خلال الخيرات التي ننالها في هذه الحياة، بعدما نبدأ ونسمو بأفكارنا، لكي نلتقط فكرة واضحة. وسأُحاول قدر ما أستطيع أنْ أجعلَ ما طُرِحَ مفهومًا وفي متناول الجميع. أخبرني لو أنَّكَ وصلتَ لمرحلةِ الشيخوخة، وكنتَ تعيشُ في عوَزٍ، وأتى شخصٌ ووعَدَكَ بأنَّه سيجعلَكَ الآن شابًا عَفِيًّا، وقويًّا للغايةِ، وجميلًا، بل وأجمل من الجميع، وأنْ يجعَلَكَ مَلِكًا على الأرضِ لألفِ عام، وتملك في سلامٍ كامل، فما الذي لنْ تفعله وتُفضِّله بشأن هذا الأمر؟ إذًا ها هو المسيح له المجد، يَعِدُ ليسَ بهذه الأمور فقط، بل بما هو أعظم منْ ذلك بكثير. لأنَّ المسافة بين الفساد وعدم الفساد، هي أعظم بكثير من المسافة بين الشيخوخة والصِبا، وأنَّ الفارق بين المجد الدنيوي، ومجد الدهر الآتي، أعظم بكثير، فما هو بين الملك والعَوَزِ، الفارق يُقاس بقدرِ اتساع الهوَّة بين الحُلمِ والحقيقة. لكن من الواضح، أنِّي لم أَقُل بعدُ شيئًا، خاصةً وأنَّهُ لا توجد كلمات تستطيع أنْ تُعَبِّر عن عِظَم الفرق بين أمور الحياةِ الحاضرة، وخيرات الدهر الآتي. بل إنَّنا لا نستطيع أنْ نُدرِك مدَى هذا الفرق، بسبب عامل الزمن. فكيف يمكن للمرءِ أنْ يُقارن بين الأمور الدُنيويَّة في هذه الحياة، مع حياة أُخرى أبديَّة ولا نهاية لها؟

وفيما يتعلَّق بالسَّلام، أي سلام الحياة الحاضرة، وسلام الدهر الآتي، ستَجد أنَّ الفرق شاسِع، بقدرِ ما هو الفرق بين السلام والحرب. كما إنَّ الفرق بين الفساد وعدم الفَساد، هو بقدرِ الفرق بين الماسَةِ النقيَّة الخالية من الشوائب، وكتلة الطين. لكنني أعتقد أنَّهُ مهما قال المرءُ، فلنْ يستطيع أن يَصِف خيرات الدهر الآتي. لأنَّه إنْ قارنتَ، تحت نور أشعة الشمس، ما سيكون عليه جمال الأجساد في ذلك الوقت، وبين البَرَق الذي يلمع في السماء، فلن أَجِد شيئًا مقابلًا على الإطلاق لوَصفِ ذلك البهاء الذي سيكون عليه في الدهر الآتي. كيف للمرءِ إذًا **ألَّا يُقَدِّم أموالًا، ليستر أجسادًا فقيرة مُعوَزَةً**، إذا كانت كُلُّ هذه الخيرات تنتظرنا. إذًا ألَا يستحقّ أنْ يُقَدِّمَ المرءُ أموالًا، بل وذاته أيضًا؟ بل ألَا يستحقّ ذلك أنْ نُقَدِّم نفوسنا؟ والآن إذا أتاحَ لكَ أحدٌ فرصةَ لقاءِ أحدِ الملوكِ في قصرِهِ لتتحدَّث معه أمام الجميع وتتناول الطعام معه. ألَا تقول لنفسِكَ، أيُّ حَظٍّ سعيدٍ هذا الذي نالني أكثر منَ الجميعِ؟ لكن عندما ستصعد إلى السماء، وتقف إلى جوار ملك الملوك ذاته، وَتُشرِق بِبَهاءٍ بين الملائكة وتكون مثلهم «لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللهِ فِي السَّمَاءِ.» (مت ٢٢: ٣٠)، وتَتَمتَّع بالمجدِ الذي لا يُعَبَّر عنه، فهل تتحيَّر ما إذْ كان ينبغي أنْ تُقَدِّم مالًا، بل أنْ تُقَدِّم حياتك، إنْ احتاجَ الأمرُ ذلك، وأنَّهُ يجب أنْ تتهلَّل وتقفز فَرَحًا، وتنتعش مُبتَهِجًا؟ وأنتَ لكي تربح السُلطة (السلطان) التي تمنحك الدافع للسرقة (وهذا لا أدعوه أنا رِبحًا)، إذ تُحرَم من ممتلكاتك، وتستدينُ أموالًا من الغيرِ، وإنِ احتاجَ الأمرُ، لا تَتَرَدَّد أبدًا أن تَضَع زوجتك وأولادك رَهائن، حتى تَرُدَّ هذه الأموال (كُلّ هذا من أجل الحصول على هذا المنصب)؛ لكن عندما يكون ملكوت السموات أمامك، وأيضًا السلطة (الإمكانية) التي ينالها أيُّ أحدٍ آخر، هل تفتر وتتراجع، وتفقدها من أجل المال؟ (تفقد إمكانية الحصول على ملكوت السموات)، فإنْ كانت الأجزاء المرئيَّة من السماء التي أمامنا جميلةً بكُلِّ هذا القَدْرِ، وممتعة ومُبهِجة، فَكَم تكون التي أعلى منها، أليست أجمَل، وكم تكون سماء السموات؟

وإذا كان مِنْ غيرِ الممكن أنْ تَرى كُلَّ هذا بالأعين الجسدِيَّة، فلتصعَد بفِكْرِكَ، وبعدها تقف في السماء غير المرئيَّة، إرفع عينيك إلى السماء التي تعلوها، إلى الارتفاع الذي لا نهاية له، إلى النُّور الذي لا يُعَبَّر عنه، ولا يُدنَى منه، إلى خورس الملائكة، وصفوف رؤساء الملائكة، إلى القوَّات ألَأُخرى غير الهيولِيَّة (الجسدانيّة). ولتعود مرَّةً أُخرى إلى صورة حياتنا الأرضيَّة، وبعدما تهبط من هذا العلوّ أو هذا السموّ، صِف لي الأجواء التي تُحيط بالملك الأرضي، على سبيل المثال: ستنظر رجالًا يرتدون ملابس مُذَهَّبة، وبعض الخيول البيضاء مُزيَّنة بالذَّهبِ، وعربة مُرَصَّعة

بالأحجار الكريمة، وستائر تتحرَّك حوله، وتماثيل، وَدُروع لها عيون ذهبيَّة، وخيولٍ بِرداءٍ ولجامٍ ذهبيٍّ. لكنَّنا عندما نكون في رفقة الملك، لا نرى أيَّ شيءٍ منْ كُلِّ هذا، لأنَّه هو وحده الذي يجذب انتباهنا، بملابسه الأورجوانيَّة، والتَّاج، والعرشِ، والأحذيةِ اللامعةِ. إذًا بعدما تنظر إلى كُلِّ هذا، إصعد مـرَّةً أُخرى بفكرِكَ إلى أعلى، وَضَع في اعتبارك **ذلك اليوم المخوف** الذي ستقف فيه أمام المسيح. وقتها لن ترى الخيول، ولا العربة المزيَّنة بالذَّهب، ولا التماثيل، ولا الدروع، بل سترى ما يُثير الرُّعبَ والخوفَ، حتَّى قوَّات السموات تتزعزع، لأنَّ الكتاب يقول: «وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ.» (مت٢٤: ٢٩). وحينئذٍ ستنفتح السماء، وسينزل ابن الله وحيد الجنس، مُحاطًا لا بعشرين أو بمئة، بل بآلاف وعشرات الآلاف من الملائكة ورؤساء الملائكة، وسيكون الجميع مملوئين بالخوفِ والرُّعب، وستَنشَقُّ الأرض وتُفتَح، وسيقوم كُلُّ البَشر من آدم حتى ذلك اليوم، وَسَيُختَطَفون، وسَيُستعلَن ابن الله في مجده، حتى أنَّه سيختفي نور الشمس والقمر، لأنَّ بهاء هذا المجد سَيُلاشي هذا النُّور. الويلُ لنا إذْ قد فقدنا الحِسَّ، لأنَّهُ رغم كُلِّ هذه الخيرات التي تنتظرنا، لازلنا نُصِرُّ على أنْ نفقدَها، لأنَّنا نتمَسَّك بأمور هذه الحياةِ الحاضرة، ولم نُدرك بعد **حِيَل الشيطان الشرِّيرة**، والذي يجعلنا نسعَى في طلب **أمور دُنيَويَّةٍ زهيدة تافهة**، حتى نفقد الأمور العظيمة (أي خيرات الدهر الآتي). ويُعطينا ترابًا، لكي يسلبنا السماء وأمجادها، ويُظهر لنا الظلال، حتى يُبعدنا عن الحقيقة، ويخدعنا بالأحلام (لأنَّ هنا هو الغنى الوقتي الزَّائل)، حتى أنَّهُ عندما يطلع النهار، يتركنا في فقرٍ لا حَدَّ له.

إذًا أيُّها الأحباء، بعدما نعرف هذه الأمور، لنتجنَّب هذا الخداع، حتى ننجُو من الإدانة، حتى **لا** يقول لنا الدَّيان: «إِذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (متى ٢٥: ٤١).

المحبَّة وانتظار الدينونة:

إلَّا أنَّ اللهَ يُحِبُّ الإنسان، ولن يَفنيه. وهل هذا كُتِبَ بدونِ سببٍ؟ يقول **لا**. بل كُتِبَ فقط كإنذارٍ، حتى نَتعقَّل في سُلوكنا. إذًا، إنْ لم نتعقَّل، بل ظَلَلْنا هكذا أشرارًا، أَلَا يفرض علينا العقاب؟ أخبرني أَلَا يُعَوِّض الصالحين بالمُجازاةِ؟ يقول **نعم**. لأنَّ هذا هو ما يجب أنْ يتحقَّق، بل هو يُقَدِّم إحسانًا للمرءِ، فوقَ ما يستحقه. فهذه المُكافآت حقيقة، وسَتحدث في كُلِّ الأحوالِ، ولكن أَلَا ينطبق ذلك على كُلِّ ما هو مرتبط بالعُقوباتِ؟ **آه مِنْ هذه الشرور التي يبتَدِعُها الشيطان**، فهو يُقَدِّم نصيحة غير نافعة، ويجعل البَشَر كَسالى. ويعرف أنَّ الخوفَ مِنَ العِقَابِ مثلُ لجام، يضغط على نفوسنا، ويوقفها عن فعلِ الشَّرِّ، هو يفعل كلَّ شيء، ويبتدع شرورًا كثيرة، حتى ينزع الإنسانَ من جذوره، هكذا وبدونِ خوفٍ، نذهب إلى الانحدار، ونَسقُط في هُوَّةٍ سَحيقة. إذًا كيف سَنغلبهُ؟ الحقيقة أنَّنا مهما تكلَّمنا منَ الأسفار المُقَدَّسَةِ، سيزعم المُعارِضون، أنَّ المَكتوبَ هو للتهديدِ فقط. بل إنَّ المرء يمكن أنْ يتكلَّم بهذا عن أُمور الدهر الآتي، وبجحودٍ كبير. لكن ماذا سيقولون عن الأحداث التي حدثت بالفعلِ وانتهت. فلنسألهم إذًا: هل سمعتم عن الطوفانِ وهذه الإبادة الجماعيَّة؟ وهل هذا قيل، لأجلِ التهديد فقط؟ أَلَمْ يحدثْ؟ أَلَمْ يَتَحَقَّقْ؟ أَلَمْ تُنادِهِ **جبال أرمينيا**، حيث استَقَرَّ الفُلك هناك؟ أَلَمْ تُنقَذْ بقايا الفُلك، وتبقى حتى الآن، حتى تُذَكِّرنا بما حدث؟ لقد قيلَ الكثير آنذاك على مدى مئة عام، بينما كانَ الفُلكُ يُعَدُّ (وَيُجَهَّزُ)، والأخشابُ تُصَنَّعُ، ونوح البارُّ يَصرخ، وَلَمْ يكن هناك أحدٌ لِيُصَدِّق. إذْ أَنَّهُم لَمْ يُصَدِّقوا التهديد الذي قيلَ بالكلامِ، لذلك نالهم العقاب في الحقيقة، وإلى الأبد. بعد كُلِّ هذه، فإنَّ ذاكَ الذي عَاقَبَ الناس آنذاك بالطوفان، أَلَا يُعاقِب بما هو أكثر؟ لأنَّ الشُّرور التي تحدث الآن، ليست بِأَقَلَّ أبدًا من الشرور التي حدثت آنذاك. لقد **حدثَ اختلاط، وتزاوج غير شرعي**. يقول الكتاب: «رأى بنو الله أنَّ بنات الناس حِسان، فتزوَّجُوا منهم كُلَّ من اختاروا» (تكوين ٦: ٢ الترجمة السبعينيَّة). ولكن الآن ليس هناك أيُّ شَكلٍ من أشكال الخطيَّة، أو أيُّ نوعٍ من أنواعِ الخطيَّة، سيبقى بلا عِقاب.

بَلْ وإنْ أردتم، سننتقل بالحديثِ لأنواعٍ أُخرى من العقوباتِ، حتى أنَّهُ من خلال ما حدث، يكون الإيمان بالدهرِ الآتي راسخًا. هل سافَرَ أحدكم إلى **فلسطين**؟ يبدو لي أنَّ هذا قد حدث. إذًا أنتم تشهدون للحقيقةِ التي قُلناها. فيما وراء أشكالون، وغزَّة تحديدًا، ينتهي نهر الأردن، حيث كانت هناك أرضٌ خصبةٌ، كجَنَّةِ **الرَّبِّ**، لأنَّ **الرَّبَّ** يقول: «فرفَعَ لوط عينيهِ فرأى وادي الأردن .. ريَّان كلُّهُ كجَنَّةِ الرَّبِّ» (تكوين ١٣: ١٠ الترجمة السبعينيَّة). لكن هذه الأرض الآن، هي أكثر فقرًا وجَدبًا مِنَ الصحاري كافةً. بالطبع هناك أشجار، وهي تُخرِجُ ثمارًا، لكنَّ الثمار تُذَكِّرنا بغضَبِ **الله**. أي أنَّ هناكَ رُمَّانًا، له شكلٌ رائع من الخارج، ويبدو لمن لا يعرف، أنَّه جيِّد للأكلِ، لكن عندما يأخذه في يدهِ ويكسره، فلن يجد حبَّاتِ الرُّمَّانِ داخله، بل تُرابًا ورمادًا كثيرًا. هكذا هو الطين، وهكذا هي الصخور، وهكذا الهواء ذاته، كلُّ شيءٍ مُحترق.

حقًّا إنَّهُ يُذَكِّرنا بالغَضَبِ الذي سَبَقَ، ورِسَالةٍ سابقةٍ تُنبئُ بالعقابِ في الحياةِ الأبديَّة. **وهل يُعتبَر كُلُّ هذا تهديدًا بالكلام ؟؟**

وهل هذا هو دَوِيُّ فرقعات لبعضِ الكلمات؟ مَنْ لا يُؤمن بجَهَنَّم، وما حدثَ في سَدوم، فليُفَكِّر في عَمُّورة ، ليَضع في اعتباره العقاب الذي حدث بالفعل، ولا تزال آثاره قائمة حتى الآن. الأمر الذي تَقُصُّهُ أو ترويه الأسفار الإلهيَّة عن الحكمةِ، إذ يقول: «وأنقذت الحكمة رجُلًا صالحًا بالرَّبِّ من النَّارِ التي هبطت فأهلَكت في المدن الخمس. وإلى الآن يَشهَد على شَرِّهم أرضٌ محروقة تَصاعَدَ منها الدُّخان. ونبات يُثمر ثمرًا لا

يَنضُجِ» (سفر الحكمة ١٠:٦-٧ الترجمة السبعينيَّة). هناكَ ضرورةٌ لأنْ نتكلَّم عن الأسباب التي لأجلها، قد عانوا من هذا العِقاب. أمرٌ واحدٌ هو الذي فعلوه، بالطبعِ كان مُرعِبًا وملعونًا، لكنه في كُلِّ الاحوال هو فعلٌ واحد. **سَلَّمُوا أنفسَهُم للمثليّة الجنسيَّة**، لذلك أحترقوا بمَطَرٍ ناريّ (أمطرت عليهم السماء نارًا). لكن الآن يحدث ما هو أكثر فَزَعًا، لكن مِثلَ هذا الاحتراق لَمْ يَحْدُث. **لماذا؟** لأنَّ هناكَ نارًا أُخرى مُعَدَّة، لَنْ تَنطَفِئ أبدًا. لأنَّهُ إذا كان ذاكَ الذي ارتَكَبَ خطيَّة واحدة، قد أثارَ غضب الله بِكُلِّ هذا القَدْرِ. ولم يَقبَل تَضَرُّعَ إبراهيم، ولا لوط الذي كان يسكن هناك، قد أحتَسَبَ له، بسببِ كُلِّ هذه الخطايا التي ارتُكِبَت، فهل هناكَ سيتأَلَّم لأجلنا أو هل سيشفق علينا؟ **لن يحدث هذا.**

(ملحوظة:الحديث هنا عن خراب سدوم وعمورة الذين **تعاطوا المثليَّة الجنسيَّة**: «وَقَالَ **الرَّبُّ**: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتَهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا.» (تك ١٨:٢٠) أنظر الإصحاح الثامن عشر)

لكن يجب أَلَّا نقف عندَ هذا الحَدِّ، وَلْنُشِر إلى آخرينَ قد عُوقِبوا، حتى أنَّهُ من خلالِ إثباتات كثيرة تؤَكِّدُ على ما قيل. سمعتم جميعًا عن فرعون، ملك المصريين، تعرفون بالطبعِ كيف غَرِقَ، كيف أنَّهُ بعرباتِهِ، وخيولِهِ، وكُلَّ جيشِهِ، قد غَرِقَ في البحرِ الأحمر وَهَلَكَ، بل واليهود أيضًا الذين أخطأوا قد نالتهم عقوباتٍ كثيرة، ولكي تَعرِفوا ذلك، إسمعوا الرسول بولس الذي يقول: «وَلاَ نَزْنِ كَمَا زَنَى أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَسَقَطَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَلاَثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. وَلاَ نُجَرِّبِ الْمَسِيحَ كَمَا جَرَّبَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَتْهُمُ الْحَيَّاتُ. وَلاَ تَتَذَمَّرُوا كَمَا تَذَمَّرَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ الْمُهْلِكُ.» (١ كور ١٠:٨-١٠).

(يتبع في العدد القادم)

تابع من صفحة ١٣

تأخرنا البتَّة عن تلبية دعوته، بل لتركنا كُلَّ شيءٍ، وبادرنا بنشاطٍ إلى الالتحاق به. فإنْ كان **ملك الملوك وإله الآلهة** يدعونا إلى خدمته السماويَّة فلنحترس بالتالي لِئَلَّا نستعفي من الخدمةِ بدافع التهاون والتواني فنوجَد بلا عذر في يوم الدينونة...

قال لي أناس كيف يمكننا أنْ نسلك في طريق **الرَّبِّ** ونحن منهمكون في هموم الحياة؟ فأجبتهم: افعلوا ما استطعتم من الصالحات، لا تُعيِّروا أحدًا، لا تخدعوا أحدًا،لا تسرقوا أحدًا،لا تتشامخوا على أحدٍ، لا تمقتوا أحدًا، لا تنقطعوا عن صلوات الكنيسة، اعطفوا على المحتاجين، لا تُعْثِروا أحدًا، اكتفوا بنسائكم، إنْ فعلتم هذا فلنْ تكونوا بعيدين عن ملكوت السماوات...

التوبة تجديد للمعموديَّة. التوبة عهدٌ مع الله لبدءِ حياةٍ أخرى. التَّائب هو من يبتاع التواضع. التوبة هي التخلِّي الدَّائم عن التعزيات الجسديَّة. التوبة هي الحكم على الذَّات والاهتمام بالنَّفسِ دون الارتباك بأيِّ شيءٍ آخر. التوبة ابنة للرَّجاء وجحود لليأس. التائب مجرم غير مرذول. التوبة مصالحة مع **الرَّبِّ** بعمل المضادة للزلَّات السابقة. التوبة تطهير للوجدان. التوبة صبر على كافة المصائب. التوبة تضييق على المعدة وتقريع حادّ للنفس.

الوداعة هي سكون النفس وتقبُّلها للإهانات والكرامات بحالٍ واحد على السواء.

رأيت البعض يقترفون سرًّا وخِفْيَةً خطايا فظيعة، ونظرًا لما كان يتوهمه الناس من طهارتهم الفائقة كانوا يحتقرون جهرًا ويهاجمون بقسوة الذين يذنبون ذنوبًا صغيرة.

إنَّ إدانة الآخرين اختلاسٌ وقح لمقام الله، والحكمَ عليهم هلاكٌ للنفس.

الكبرياء

الكبرياء جحود لله، **صنع الشياطين**، ازدراء للناس، أمٌ للادانة، ابن للمدائح، علامة للعقم، ابتعاد عن معونة الله، نذير بضلالةِ العقل، نصيرٌ للسقطاتِ، علَّةٌ للعصبيَّة، ينبوع للغضب، وليّ لقساوة القلب، جهل بالحنوّ، محاسب مُرٌّ، قاضٍ ظالم، خصم لله، وأصلٌ للتجديف.

حيثما حلَّت سقطةٌ فهناك سبقت وسكنت الكبرياءُ، لأنَّ حضور الكبرياء يُنبئ بحلول السقطة ... فان كان ملاكٌ قد سقط من السماء لكبريائِهِ فقط دون أيِّ هوى آخر، فلننظُر لَعَلَّنَا نستطيع الصعود الى السماء بالتواضع فقط دون أية فضيلة أخرى، فإنَّ التكبُّر اتلاف لمكاسبنا واتعابنا ...

عاتب شيخٌ أحدَ الأخوةِ على تكبُّره معاتبة روحيَّة، فأجاب الأخ: «اغفر لي يا أبي فاني لست متكبرًا» ، فقال له الشيخ كُليُّ الحكمةِ: «يا ولدي، أي برهان تعطينا على تكبرك أوضح من قولك: لست متكبرًا» ! ...

من الخزيِ أنْ يفتخر الانسان بمحاسن غيره، ولكنه منتهى الجنون أنْ يتباهي بمواهب الله فيه ! انْ أردتَ أنْ تفتخر، فافتخر بما حققته قبل أنْ تولد !! لأنَّ ما حققته بعد ولادتك قد وهبك الله ايَّاه كما سبق ووهبك الولادة نفسها !! وكُلُّ الفضائل التي صرت فيها حكيمًا بغير عقلك هي وحدها حقٌ لك !! لأنَّ العقل قد وهبك الله ايَّاه !! بالمثل كافة المحاربات التي خضتها بدون جسدك هي وحدها التي تمت بهمتك أنت !! لأنَّ جسدك ليس لك بل هو خلقة الله !!

لا تَطْمَئِنَّ الى ذاتك ومصيرك، قبل صدور الحكم الأخير عليك ... ولا تتشامخ وأنت من الأرضِ، لأنَّ كثيرين قد أُهبِطُوا وقد كانوا في السماء !

إنَّ الغرورَ ينشأ من نسيان الزَّلات، لأنَّ ذكر الزلات يؤدي الى الاتضاع، فالكبرياء طامة كبرى لنفس فقيرة تتوهم الغِنَى ! فتكون في الظلام وتتخيَّل النُّور ! إنَّ الكبرياءَ النجِسَةَ لا تَمنَعنا من التقدم فقط، بل تُسقطُنا أيضًا من عُلُوِّ الفضائل ! لأنَّ المتكبر لا يحتاج الى شيطان لإسقاطِهِ، لأنه قد صار شيطانًا وعدوًّا لذاته. فكما أنَّ الظلام غريب عن النُّور، فإنَّ المتكبر غريب عن الفضيلة. ففي قلوب المتكبرين تنشأ أقوال التجديف، بينما في نفوس المتضعين تأملات سماويَّة.

قال يسوع لتلميذَيْهِ:«اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ تَجِدَانِ أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا، فَحُلاَّهُمَا وَأْتِيَانِي بِهِمَا. وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا، فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا».... فَذَهَبَ التِّلْمِيذَانِ وَفَعَلاَ كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ، وَأَتَيَا بِالأَتَانِ وَالْجَحْشِ، وَوَضَعَا عَلَيْهِمَا ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِمَا. (متى ٢١:٢ — ٧)

يا أحبائي، حلّ الجحش موهبة!

إنَّها موهبة تُعطَى للعُظماءِ، لا عظمة الجسد بل عظمة الإيمان والمحبَّة والعقل والفضيلة، مثلما شُهِدَ به عن **موسى** أنَّهُ صار عظيمًا في شعبه.. فإنَّهُ مَنْ كان عظيمًا يقدر أنْ يحلَّ الجحش!.. ليتني أكون مثلهما {التِّلْمِيذَانِ} أستطيع أنْ أَفُكَ قيود الحاضرين لأنَّ كُلَّ واحد منَّا مُقيَّد بقيود الخطيَّة، كما شهد الكتاب قائلًا: إنَّ كُلَّ أحدٍ مربوطٌ بحدائل (بأربطة) خطاياه.

لنبتهل إذن لكي يُرسل **الرَّبُّ يسوع المسيح** تلاميذه إلينا، فيحلُّونا من القيود المُكبِّلِينَ بها جميعًا، إذْ بعضنا مُقيَّد بحبِّ الفضَّة، وآخر بقيود الزِّنا، وآخر بالسُّكر، وآخر بالظلم.

الحاجةُ ماسَّةٌ أنْ يرسل إلينا تلاميذه فيحلُّونا من قيودِ الشِّرير، لأنَّهُ هكذا قال لتلاميذه: انطلقوا إلى القرية المقابلة فستجدون جحشًا مربوطًا حلُّوه وأْتوا بهِ إليَّ.

حُلُّوهُ من الأرضياتِ، وأْتوا به إلى المدينة، المدينة السماويَّة. كما يكتب الرسول المغبوط بولس قائلًا: «لأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ.» (عب١٣:١٤)

وفي (رسالة العبرانيين ١١:١٠): « .. الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ.». وقال أيضًا في (رسالة العبرانيين ١٢:١٨— ٢٢): « لأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍ بِالنَّارِ، وَإِلَى ضَبَابٍ وَظَلاَمٍ وَزَوْبَعَةٍ،.. بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ».

فأذهبوا أيُّها الرسل وَحُلُّوا الجحش، لأنَّ حضور **مخلصنا** (بتجسده) ومحبته للبشر، إنما هو آستدعاؤنا ثانية من القرية المجاورة إلى أورشليم المدينة السماويَّة، لأنَّهُ بسبب المعصية الصَّائرة من آدم طُرِدَ من الفردوس، ونقلنا إلى القرية المحاذية، لأنَّ الله أخرج **آدم** وأسكنه مقابل جنَّة النعيم، القرية المقابلة... وكما يقول (سفر التكوين ٣ : ٢٣ — ٢٤): «فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.»

ها هم تلاميذ الرَّبِّ يسوع المسيح يَحلُّون الجحش

أرسل **الرَّبُّ** التلاميذ إلى القرية لِيَحُلُّوا هذا الجحش، لأنَّ من أجلِه أقبل **المخلِّص**، وترك **الـ ٩٩ خروفًا غير الضَّالة**، كي يمضي ويفتش عن الضَّال، وإذا وجده سُرَّ به. (لوقا ١٥ : ٤ — ٧).

من أجل الضَّال، أرسل التلاميذ إلى القرية المحاذية، لأني أعرف أنَّ قوات غير منظورة كانت تخدم **الرَّبَّ يسوع**، ولعلَّ تلك القوات أرسلها **الرَّبُّ** مع أصحاب بطرس إلى القرية المحاذية لِيَحُلُّوا الجحش، فقد قيل عن **الرَّبَّ** في (متى ٤:١١): «.. وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ.»، وعن الناس يهتف داود قائلًا في (المزمور ٧٧: ٢٤،٢٥): «أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا». لأنَّهُ لا يستطيع منْ يَهوى أمور الجسد أنْ يصلَ إلى هذه المدينة الكُبرى، لأنَّ الجسداني مُقيمٌ بعد في القرية، لأنَّ شهوة الجسد عداوة **لله**... لأنَّه إذا سلك أحدُ الناس في مدينة الفضيلة والعفاف واستنار بالحكمة وَعَكَفَ على النُسك، حينئذ يصير نظير القديسين، لأنَّ القديسين ليست لهم ها هنا — كما سبقت وقلت — مدينة راحة، بل هم طالبون العتيدة التي صانعها وبانيها **الله**. «لأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ.» (عب١٣:١٤)

فلمَّا مضى التلاميذ حَلُّوا الجحش، لأنَّ (هذه الموهبة) لهم خاصة أنْ يَحِلُّو هذا الجحش، لأنَّ كثيرين يظنُّون أنهم تلاميذ **الرَّبُّ يسوع المسيح**، ولكنهم ليسوا عاملين بل **غاشِّين مثل يهوذا**.

قد كان للجحشِ أصحابٌ كثيرون، لأنَّ أصحاب الجحش قالوا للتلاميذ: لماذا تحلُّون الجحش؟

ولعلهم قالوا لهم: «أمَا تُبصرون يا قومُ كيف هو مربوط وهو مُسَلَّمٌ إلينا، فَلِمَ تأخذونَهُ منَّا؟ أنَّهُ يساعدنا في عملنا.. لمَ تحلُّونَ أملنا؟ أنكم تريدون أنْ تعدمونا هذا. وهذا إنْ انحلَّ من القيود فنحن لا محالة نُقيَّد عوضًا عنه، وإنْ عُتِقَ هذا، فنحن نُشْجَب بدلًا منه —

لأنَّ الشياطين كانوا خائفين لما أبصروا الجحش قد انحلَّ، واضطربت القِوَى المضَّادة لما أتى **ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح** وَعَلِمُوا بقدومِهِ. تفرَّقوا وفزعوا لما سمعوا **الرَّبَّ** يقول لتلاميذه في (لوقا١٠:١٩): «هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ.»... رهبوا لما سمعوه يقول لتلاميذه في (متى٢٨:١٩): «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.»، وخشوا لئلا يكون هذا هو الذي ينير الظُلمة، لأنهم سمعوا النبي قائلًا في (سفر إشعياء ٩: ٢): «الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا، وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ».

كان الكُلُّ يحيط بالجحش، كُلُّ أصحابه جالسون يحرسونه. أترى لو كان هذا شيئًا محسوسًا كان كُلُّ أصحابه يجلسون يرصدونه؟ يكون مِلْكًا لأصحابٍ كثيرين، وكُلُّ مالِكيهِ يجلسون بِجواره، ولا يتجرأ أنْ يمشي أحدهم في سوق ولا يكون لهم عمل آخر، كلُّهم يجلسون بجانب حمار. أيُربط حمار محسوس على قارعة الطريق ولا يكون له مذود ولا يمضي إلى حقل!هل يربط جحش على قارعة الطريق وكل أصحابه يجلسون يحرسونه؟

أني أقول هذه الأقوال، ولست مُبطلًا الرواية (التاريخيَّة)، لأنَّنا لسنا نبطل بالرُّوح ما هو مكتوب، بل نحفظ القوَّة التي للرُّوح بالمكتوب، لأنَّهُ بالحقيقة قد جلس **الرَّبُّ** على حمار حِسِيٍّ في دخوله من **بيت عنيا** إلى **أورشليم**، لأنَّه هكذا قال زكريا النبي : « اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ.» (زكريا٩:٩)، فإذن الرواية صادقة لكني أطلب الأمور التي ترمز إليها، وألتمس قوَّة الرُّوح.

قد جلس على جحش ونحن لا نَشُكُّ ولا نجحد مجيئه بالجسد لأنَّهُ من أجل هذا أقبل لكي يجد إلهًا لك. ولكي يسترجع الضَّال. إنَّ الإله المحب للبشرِ الذي من أجله أقبل يوعز إلى تلميذَيْنِ قائلًا لهما : انطلقا إلى القرية التي أمامكما تجدان جحشًا مربوطًا حُلَّاه وآتيا به إليَّ. خيرات عظيمة منحنا **الرَّبُّ** إيَّاها لأنَّهُ لم يحلَّ قيودنا من الخطيَّة فقط بل منحنا سلطانًا أنْ ندوس الحيَّات والعقارب وكُلَّ قوَّة العدوّ، لأنَّ الشِّرير وقوات ظلمة هذا العالم أسرونا، فقيَّدُونا وربطونا بقيودٍ لا تنحلُّ ولم يكونوا يسمحون لنا أنْ نسلكَ الطُرق الصَّالحة. كُنَّا معهم مُقيَّدين وهم أيضًا بحذائِنا جلوسٌ. قومٌ أشرار وسادة قُساة، لكن **ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح** أقبل ليُعطي إطلاقًا للمأسورين والبصر للعميان.

وبالجملة، أرسل تلاميذه فحلُّوا الجحش، وأَعَدَّ له مرعى، لأنَّ داود النبي والملك يوضح هذا : «الرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ.فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي. يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (مز٢٢:١-٣). وقال أيضًا: «الْمُنْبِتُ عُشْبًا لِلْبَهَائِمِ، وَخُضْرَةً لِخِدْمَةِ الإِنْسَانِ، لإِخْرَاجِ خُبْزٍ مِنَ الأَرْضِ» (مز ١٠٣:١٤).

فلنرجع إذن يا أحبائي، لنقتَبل الخيرات الواردة إلينا. فنستطيع أنْ نقول مع داود النبي والملك: « تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رَيَّا.» (مز٢٢ :٥)

وقيل «اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ،» (سفر إشعياء ١:٣) ، ولعلَّ من أجل هذا الجحش اضطجع **يسوع** في مذود. ألم يكن ليوسف (خطيب مريم) موضع؟

قد كان رجلًا شريفًا وإنسانًا منسوبًا إلى جِنْسٍ مَلَكِيٍّ، كان ابنًا لداود. أفلم يكن له موضع إلَّا هذا؟

ألم يوجد موضع آخر؟ لكن مِنَ البيِّن أنَّ الأمور المُدَبَّرة كانت أمورًا إلهيَّة، وحقًّا إنَّ **خصمنا الشيطان** حين شاهد هذه الأمور **حسد** جنس البشر.

فلنفحص ذواتِنا إنْ كانت القيود قد حُلَّت، ولنُقْبِل إلى ما هو أفضل، وإنْ كانت قيودُكَ لَمْ تُحَلَّ بعدُ، فادفع ذاتك إلى تلاميذ **الرَّبِّ يسوع المسيح** . فقد أخذوا من **المخلِّص** سلطانًا مثل هذا: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ.» (متى ١٨:١٨). وأيضًا: «مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» (يوحنا٢٠:٢٣).

سعداء هم الذين غفرت خطاياهم وسترت آثامهم

قال أصحاب الجحش للتلاميذ: لماذا تحلُّون الجحش؟

فأجاب التلاميذ: «فَقَالاَ:«الرَّبُّ **{صاحبة الحقيقي الذى خلقه}** مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ» (لوقا ١٩:٣٤).

أنظر إلى إجابة التلاميذ الحكيمة، فإنَّ أصحاب الجحش الكَذَبَةَ لما سمعوا أنَّ صاحب الجحش الحقيقيّ في حاجة إليه، وَلَّوا ظهورهم ولم يجيبوا، بل اسرعوا إلى **رئيسهم الشِّرير** ليخبروه بالأمور التي تمَّت.

هناك المؤامرة على **الرَّبِّ**، لأنَّ هناك التأمت وتجمعت القِوَى الرَّديئة، هناك محفل الأشرار كي يتمُّ قول داود النبي والملك:«لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا» (مز ٢:١-٣). لأنَّ **الأبالسة قالوا لرئيسهم الشِّرير ماذا نصنع؟** الجحش قد تمَّ حَلُّهُ ومضى إلى صاحبِهِ، ومِنَ الآن ليس **تحت طاعتك** ولا تملكه.

فَكَّرَ **إبليس** ماذا يصنع **بيسوع**، **واجتمع الفريسيون والكهنة إلى دار قيافا، واشتركوا في الرأي** على **المسيح ليهلكوه**: «حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُدْعَى قَيَافَا» (متى ٢٦:٣).

فإذْ قد تحرَّرنا من **أستعباد الشيطان** فلنعرف المحسن إلينا، **ربنا يسوع المسيح**، الذي له المجد إلى الأبد، آمين.

المرجع: ميمر القديس أثناسيوس من مخطوط ٥٩ : تاملات القديس أبيفانيوس حول أسبوع الآلام.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الفصل الواحد والثلاثون

«فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ.» (أمثال ٤:٢٣).

«الرَّبُّ يعلِّم الوديعين طُرُقَهُ.» (مزمور ٢٤:٩).

«فَمُ الصدِّيقِ يلهج بالحكمة، ولسانه ينطُق بالحقِّ.» (مزمور ٣٦:٣٠).

كان الطُّلاب يُضاعفون محبَّتهم واحترامهم **لنكتاريوس** ، وكأنَّهم يُحدِسُون بقربِ رحيلِهِ النهائي. وما كان يفتح فمه للكلامِ على واجبات الكاهن الرَّعَائِيَّة، أو عن الليتورجيَّا، أو تعليم الدين الإلهي، حتى يَجمَدُوا في أماكنهم وقد ملأهم الخوف، وهُم ينظرون إليه وكأنَّهُ ليسَ من هذا العالم. كانت كلماته تتساقط مثل الندى فوق صحراءٍ قاحلَةٍ، ومثلِ عِطرٍ إلهيٍّ في نفوسِهِم. وكان الأساتذة زيكوس وجورج ديرفوس وأناستاز كرياكوس يتراجعون أمامه، ليفسحوا له في الطريقِ كي يَمُرَّ.

وقد مضَى عليه عامان لم يضطر خلالهما لأن يفرض على نفسِهِ الصَّومَ، بسبب سوءِ تصرُّف التلامذة، وحتى أعضاء المجلس صاروا لُطفاء معه، ولم يعودوا يعتبرونه مُجَرَّد موظَّف يأتمر بأوامرهم.

لقد فَرَضَ شخصيَّته على الجميع دون استثناء، بفضلِ تصرُّفه البسيط والبريء، وطيبة قلبه وابتسامته الخالية من الخُبث، وفكره المتواضع والحُرِّ بالكليَّة، رغم أنَّهُ كان يتمتَّع بثقافةٍ واسعةٍ جدًّا، ونادرة في عَصرِهِ. وكان الجميع يتكلَّمون عنه باحترام.

واعتنق الكهنوت عددٌ كبيرٌ من تلاميذِهِ، وقد رَسَمَ بعضهم كهنة بنفسه. وكانت هذه السيامات له مصدر فرح كبير وفائق الوَصفِ، وكانت تملأ روحه بحبورٍ سِرِّيٍّ، وتفتح أمامه طُرُقًا نَيِّرة نحو ملكوت السماوات.

آه، إنَّ الكاهن الأرثوذكسي، ذلك الرجل البسيط واللابس الجُبَّة الذي يُعير يده إلى الله وقت الذبيحة الإلهيَّة غير الدمويَّة، هو بلا شَكٍّ أكثر خطأً من الملائكة! لأنَّه يُحوِّل الخبز والخمر إلى جسدِ ودمِ **المسيح** بِيَدِهِ الأرضيَّة المائتة. ولن يتوَقَّف بعد موته عن الاحتفال بالسِّرِّ العظيم أمام المذبح السماوي مع نفوس المختارين من جميع الشعوبِ أمام الحَمَلِ المذبوح، **ابن الله الحيّ**.

إنَّ الكاهن الأرثوذكسي هو مساهمتنا في ذبيحةٍ إلهيَّة عُظمَى. وذبيحته هي مُساهمة إراديَّة في ذبيحة الله.

ولقد تبيَّنَ أنَّ أحد الكهنة الذين رسمهم **نكتاريوس** بنفسه كان في الحقيقة كالزهرة الرُّوحيَّة العَطِرة. وقد سألَهُ مرَّةً عالِمٌ عائدٌ لِتَوِّهِ من أوروبا، مُثَقَّف بالعلوم الماديَّة والنظريَّة في آنٍ: «ماذا أفعل لكي أُعاين الله وألمسه، فَأَجِدُ الشجاعة الكافية لأحمِل صليبه وأَتَخَلَّى عن مَلذَّات العالم؟». فَرَدَّ عليه الكاهن، وبكلملتٍ قليلة كشَفَ له السِّرَّ «الخفيّ» مُستعينًا برسالة يوحنا الأولى الجامعة. وقال له:

ـ «كُلّ من يُخطىء لم يُبصره ولا عَرَفَهُ» (١ يو ٣:٦). تَخَلَّ عن الأهواء التي تُعَذِّبُك، وتواضع أمام الآخرين. وَدَع روحك تعود إلى براءة الطفولة، هذه هي الخطوة الأولى، وبعدها سوف تختبر خبرة عميقة ويغمرك رجاءٌ مضيء لا يُقهَر».

أَجَل، وكأَنَّ طُلَّابه كانوا يحدسون بِرَحيلِه النهائي. هؤلاء كانوا الشعب، ونادرًا ما يُخطىء الشعب.

وأصبَحَ **نكتاريوس** يعيش في أَمَلِ التغيير. فأنهَى بعض المُشكلات العائليَّة، وباع منزل والده في سيليفريا لتسديد ديون والدته القديسة. وساعدَ بعض أولاد أشقائه على قدرِ طاقته. وأخيرًا راحَ يُكَرِّس كُلَّ أفكاره لِراهِباته المُعْوَزَات اللواتي يَعِشنَ في زانطيا تحت حمايته الأبويَّة. وفي إحدى الليالي صَلَّى قائلًا:

ـ أرجوكَ يا إلهي أن تُبادِر إلى معونتي، فأستطيع على الأقل أنْ أُقَدِّم لَكَ بعض النفوس البريئة الساذجة والصافية كمياه السماء. ربما لم أَكُن أهلًا لدور متروبوليت أو راعي أبرشيَّة. وكجميع الأساتذة، أجهَل مصير البذرة ألتي زرعتها.

في حياته لم يلفُظ اسم الثالوث القُدوس دونَ تَأَثُّرٍ أو رَهْبَةٍ. وكانت أصابعه ترتجف عندما يُقَرِّر أنْ يُضيف إلى أبيات العذراء أُم الإله نشيدًا للرَبِّ العليِّ أو للثالوث القدوس.

لقد قرَّرَ أن يُعيد بناء الكنيسة القديمة في قفر **إيچينا**، وأنْ يُقَدِّمها **للثالوث الأقدس المثلث الشموس**، المرهوب الكلِّي الحكمة والحنان والمحبَّة. وقد صَلَّى وتَأَهَّبَ للعمل، وكتب رسائل وبعثها الى كُلِّ الأقطار.

وهكذا بعد جهودٍ مُضنية تفوق القدرة البشريَّة، وبعد أنْ حلَّ المُعضلات الكثيرة، استطاع أنْ يضع حجر الأساس للكنيسة الجديدة ويُباركه في أوَّل تموز من العام ١٩٠٦. وقد رُفِعَت جميع الأنقاض عدا المذبح، وبُنِيَت الكنيسة فوق الأساسات القديمة. واستمرَّ العمل لمدَّة سنتين، واستحوَذَ على كُلِّ أفكار **نكتاريوس** وروحه.

كانت روحه كالفراشة الذَّهبيَّة التي تطير دون توقُّف فوق خليج سالونيك حتى زانطيا. و«كرسول الأمم» العظيم بولس الذي لا يُضَاهى، كان يتألَّم ويمرض ويقلق كلَّمَا مَرِضَت الفتيات هناك. وكان يُساعِدَهُنَّ في كُلِّ شيءٍ: في الحقائق الرُّوحيَّة والماديَّة. ويُرسِل لَهُنَّ الأدوية والمُقَوِّيات والكحول حتى آخر فِلسٍ لديه.

(يتبع)

لماذا يُدعى بالأسبوعِ العظيم :

١) ها قد قطعنا رحلة الصومِ، وبنعمة الله وصلنا إلى الميناءِ، ولأنَّنا وصلنا إلى نهاية المطاف ينبغي علينا أنْ نُعطِي **اهتمامًا عظيمًا لهذا الأسبوع.**

فَربابِنَةُ السُفُنِ يفعلون هكذا، حينما يَصلون بِسُفُنِهُم الضخمة المليئة بالقمحِ وبالبَضائِعِ، يقودونها بكُلِّ حرصٍ وخوفٍ لِئَلَّا تُصدَم بالحجارة (والصخور)، وتتحَطَّم وتغرَق كُلُّ البَضائع. ونحنُ أيضًا ينبغي علينا أنْ نزيد من جُهدنا ، كي ننال جعالة تَعَبِنَا في نهاية سَعِينا.

والعدّاؤون أيضًا، حينما يقتربن من الجوائز، فإنَّهم يُضاعِفون سُرعتهم. والرياضيُّون أيضًا، فبعدَ مُنافسَاتٍ لا تُحصَى، وانتصارات لا تنتهي، يُشَدِّدون بالأكثر من سَعيِهم، ويُزيدون حماسهم عندما يقتربون من أكاليل النَصرِ.

فلنفعل نحن أيضًا هكذا، لأنَّ **هذا الأسبوع** كالميناء لِرَبابِنَةِ السُّفن، وكأكاليلٍ للرياضِيِّين والعَدَّائين، أمَّا بالنسبَةِ لنا، فهو مصدر الخيرات، وفيه نُجاهد كي ننال الأكاليل.

نحنُ ندعوهُ بالأسبوعِ العظيم، ليس لأنَّ أيامه أعظَم من سِواها، إذ توجَد أيام عظيمة أُخرى، بل لأنَّ الرَّبَّ صَنَعَ فيه آياتٍ عظيمة لأجلنا.

أزالَ طُغيان الشيطان الذي دامَ طويلًا، ولم يَعُد للموتِ سُلطانٌ علينا، سُحِقَت قُوَّتُهُ، تجرَّدَ من أسلِحَتِهِ، قُهِرَت الخطيئة، إنحَلَّت اللعنة، فُتِحَ باب الفردوس، وُهِبْنَا رَسمَ دُخول السماء، اتَّحدَت صفوف الملائكة مع البَشَر، نُقِضَ الحائط المُتَوَسِّط، ونُزِعَ الستار الفاصل، بَسَط إله السلام سلامَهُ على السماويِّين والأرضِيِّين، لهذا دُعِيَ **بالأُسبوعِ العظيم.**

وكما أنَّهُ أعظم من بقيَّة الأسابيع، فسبت النور هو رأسه، كالرأسِ بالنسبَةِ للجَسَدِ. ولهذا السبب، فكثيرٌ من الشعب يُضاعفون من جهادهم خلال هذه الفترة؛ البعضُ يُطيلون ساعات أصوامهم وأسهارهم المُقَدَّسة، والبعض الآخر يَقومون بأعمالِ الرَّحمة. وبهذا الاندفاع نحو الأعمال الصالحة، والنموّ المتزايد من أعمال التقوى في كُلِّ سلوكيات حياتنا، فإنَّنا نشهد ونُؤَكِّد على عِظَمِ الخير الذي صنعه الله لأجلنا.

فبعد أنْ أقامَ **الرَّبُّ لِعازَرَ**، أسرَعَ كُلُّ سكان أورشليم لِيَروهُ، وَشَهِدَ هذا الجمهور على أنَّ **المسيح** أقامَ ميتًا، فكان شَغَفُ القادمين لرؤيته دليلًا على تلك المعجزة التي صنعها **يسوع**. هكذا، إذن، فإنَّ شغفنا نحو هذا الأسبوع يُعَدُّ شهادَةً وبُرهانًا على عِظَمِ مقدار الآيات التي صُنِعَتْ فيه لِأجلِنَا.

المسكونة بأسرها تخرج في هذا الأسبوع لمُلاقاةِ يسوع:

أمَّا نحن فلا نخرج اليوم من مدينة أورشليم فقط، بل تَخرج من كُلِّ كنائس المسكونة شعوبٌ لا تُحصَى لمُلاقاةِ **يسوع**، غير مُمسِكين بأيديهم سَعَفَ النَخلِ، بل مُقَدِّمينَ له بالأحرى (أعمال) الرَّحمة، ومحبَّة الخير للبَشَر، والفضيلة، والصوم، والدموع، والصلوات، والسَّهر وكُلَّ أنواعِ الفَضائلِ.

ولسنَا نحن الذين نُكَرِّم هذا الأسبوع فحسب، بل يُكَرِّمه أيضًا كُلُّ ملوك الأرض – ليس كَحَدث عَرَضِي – إذْ فيه يَكِفُّون عن الإنشغالِ بالشؤون العامة للدولةِ حتى يقدروا أنْ ينالوا عُطلة يُكَرِّسون فيها هذه الأيام لمُمارسة الرياضة الروحيَّة، ولا يَقِفون عند هذا الحدِّ بل يُغلقون المحاكم ويُرسِلون خطاباتٍ مَلكيَّة يأمرون فيها بإطلاقِ سراحِ كُلِّ من في السجونِ.

ولأنَّ سيِّدنا صنع كُلَّ هذه الآيات لأجلنا؛ فلنعمل، نحن العبيد أعمالًا صالحة. وكما أنَّ **المسيح** نزَلَ إلى الجحيم لكي يُحَرِّر أولئك الذين كانوا تحت سُلطان نير الموت، فيجب على العبيد أنْ يَتَمَثَّلوا **بمحبة الله** للبَشَرِ على قدرِ استطاعتهم، وأنْ يَتحرَّروا من رباطات الجسد، لأنَّهم لا يقدرون أنْ يتحرَّروا من رباطات الرُّوح.

التسبيحُ للهِ:

٢) ولأنَّنا نُقَدِّس **هذا الأسبوع**، فقد خَرَجتُ معكم لكي أُقَدِّمَ التعليم بدلًا من سَعَفِ النخلِ، مُلقيًا الفِلْسَيْن كما فعلت الأرملة (لو ٢١:٢). يُخبرنا الكتاب المقدَّس: أنَّ أولئك المُمسِكين بأيديهم سَعَف النَخلِ، خرجوا صارخين قائلين: «مبارِكٌ الآتي باسمِ الرَّبِّ» (متى٢١:٩). فلنخرج أيضًا لِمُلاقاةِ **يسوع**، ولنُقَدِّم إرادةً مُفعَمَةً بالثَّمَرِ الوافِرِ والمُبَارَكِ، ولنُرَتِّل مع المزمور قائلين: «هللويا. سَبِّحي يا نفسي الرَّبَّ. أُسَبح الرَّبَّ في حياتي» (مز ١٤٥:١-٢). إنَّ الكلمات التي رَتَّلَهَا داود النبيّ، والتي سوفَ أقولها، ليست إلَّا إنَّها (نابعة) من نعمة **الرُّوح القُدُس**.

فعندما حرَّكَ **الرُّوحُ القُدُس** المُعَزِّي لسانَ داود النبيّ، تكلَّمَ وقال: «لِساني قَلَمُ كاتبٍ ماهر» (مز ٤٤:١). وكما أنَّ القَلَمَ لا يكتُب من تلقاءِ ذاته، بل حينما تُحَرِّكه اليَدُ، هكذا أيضًا أَلسِنَةُ الأنبياء فإنَّها لا تَتَحَدَّث من ذاتها، بل من سُلطان نعمة الله. ولكن لماذا لم يَقُل داود

النبيّ ببساطة: «لساني قَلَمُ كاتب» وقال: «لِساني قَلَمُ كاتبٍ ماهر». لِتَعلَمَ أيُّها الإنسان، أنَّ هذه الكلمات نابِعَةٌ من حكمة الرُّوح القُدُس؛ ولهذا تحدَّثَ لسان (داود) بسهولة وبسرعة عظيمَتَيْن. فعندما يتكلَّم البَشَر من تلقاءِ ذاتهم، فإنَّهم يتروون، ويُفَكِّرون، ويتأخَّرونَ في الحديث، بل ويستغرقون وقتًا طويلًا، ولأنَّ كلمات (المزمور) هذه تتدَفَّق منْ منبعٍ واحدٍ، ولا يوجَد ما يُعيقُها، فَجَريانُ الأفكارِ يتغلَّب على سُرعَةِ اللسانِ، ولهذا قال المرتِّل: «لِساني قَلَمُ كاتبٍ ماهر»، ولا نحتاجُ إلى التفكيرِ ولا إلى الدراسة ولا إلى التعبِ، بل فلنَرَ ماذا يقول.

القدِّيسون يحيون معًا:

فلنُرَتِّل نحن، اليوم مع داود النبي قائلين: «سبِّحي يا نفسي الرَّبَّ»، وبالرغمِ من أنَّهُ لا يتواجد معنا هنا على الأرضِ بالجَسَدِ، إلَّا أنَّه معنا بالرُّوحِ دائمًا. فالقديسون يتواجدون بالقُربِ منَّا، ويُرتِّلون معنا أيضًا. فانصت إلى ما يقوله إبراهيم للغنيّ (الذي قال): «يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ ... لأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هذَا.. قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ.» (لو ١٦: ٢٤-٢٩).

ولكن موسى رقَدَ وجميع الأنبياء بالجَسَدِ منذ زمنٍ طويل، والبعض منهم ترك لنا كتاباته. فإذا التقط أحدٌ بيدِهِ صورة لطفلٍ أو لصديقٍ ما، يظنُّ أنَّهُ موجودٌ بالقُربِ منه ويتَخيَّلهُ من خلالِ صورته، فكم بالأحرى نحن الذين نتعزَّى بِصُحبة القديسين في الكُتبِ المقدَّسة. لأنَّ أقوالهم صارت لنا بمثابَةِ أيقوناتٍ لِأرواحهم. أتَعْرِفُ أنَّ القديسين يحيون معنا على الأرض؟ لا أحد يدعو الرَّاقدينَ شهودًا لِأُلوهِيَّتِهِ، ولكي يُعَلِّمَكَ أنَّ داود يحيا بالرُّوحِ معنا، فقد دعاه المسيحُ قبلهم شاهدًا.

ولِأنَّ اليهود تَشَكَّكُوا في ماهيَّة المسيح، سألهم قائلًا: «مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟» قَالُوا لَهُ: «ابْنُ دَاوُدَ قال لهم:فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبّاً قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ؟» (متى ٢٢: ٤٢-٤٤). أرأيتَ كيف يحيا داود النبي معنا هنا بالرُّوح. لأنَّهُ إذا لم يكُن حيًّا، ما كان قد دعاهُ السيِّد شاهدًا لِأُلوهِيَّتِهِ، وما قال: «كيف دعاه داود بالرُّوحِ ربًّا»، بل قال: «كيف يدعوه ربًّا». قال لهم هذا لكي يُؤَكِّدَ أنَّ داود ما زال يحيَا بالرُّوحِ ويتحدَّث مع من كتبَ عنه وتنبَّأَ به. (**ملحوظة: أنظر ما قاله القديس بورفيريوس صفحة ٢٧ بهذا الخصوص**).

ولأنَّ داود رَتَّلَ للرَّبِّ، فلنُرَتِّل نحن أيضًا معه اليوم. أَلِفَ داود قيثارة ذات أوتارٍ مائتة، أمَّا قيثارة الكنيسة فذاتُ أوتارٍ روحيَّة حيَّة؛ إنَّها أَلسِنَتُنا التي تعزف ألحانًا وأناشيد مختلفة حسب التقوى. وأيضًا النساء، والرجال، والشيوخ، والفتيان، فبالرغمِ من أنَّهم متفاوتون في الأعمارِ، لكنهم في الوقتِ ذاتِهِ يُرتِّلونَ بانسِجامٍ؛ لأنَّ الرُّوح القُدُس يُوَحِّدُ أصواتهم معًا في صوتٍ واحدٍ، ويجعل الجميع في سيمفونيَّة عذبة التسبيح. كما دَعَا داود نفسه كُلَّ نسمةٍ وكُلَّ الطبائعِ نحو التسبيح قائلًا: «كُلُّ نَسَمَةٍ فَلْتُسَبِّحِ الرَّبَّ» (مز ١٥٠: ٥).

كُلُّ ما في باطن الإنسان مدعُوٌّ لتسبيحِ الله:

(يقول المرتل): «سبِّحي يا نفسيَ الرَّبَّ». لماذا لم يَقبَل التسبيح بالجَسَد؟ ولأيِّ سببٍ لم يَقُل شيئًا خاصًّا بالجَسَد؟ أَفَصَلَ بينَ الاثنين؟ مُطلَقًا، ولكنَّهُ يحثُّ الفنان، أي النفس أولًا نحو التسبيح، ولم يفصل الجسد عن النفسِ. فأنصَت إلى ماذا يقول: «يَا اَللهُ، إِلهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ» (مز ٦٢: ١). إذ يقول: أَرِني يا ربُّ الجسدَ الذي دُعِيَ لتسبيحك. (يقول المرتل): «بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَكُلُّ مَا فِي بَاطِنِي لِيُبَارِكِ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ» (مز ١٠٢: ١). أرأيت كيف أنَّ الجسد يشترك مع النفس في سيمفونيَّة موسيقيَّة؟ ولكن ماذا يعني بقولِهِ: «كُلُّ مَا فِي بَاطِنِي لِيُبَارِكِ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ؟» إنَّه يعني أنَّ الأعصاب، والعظام، والأوردة، والشرايين وكلُّ ذرَّةٍ دقيقة داخل الإنسان مَدْعُوَّةٌ لتمجيد الله وتسبيحِهِ.

٣) كيف تقدر أعضاؤنا الداخليَّة أنْ تُبارك الله، بالرَّغمِ من أنَّها لا تُصدِر صوتًا، وليس لديها فمٌ ولا لِسانٌ؟ يرتِّل داود النبيّ قائلًا: «السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ» (مز ١٨: ١). إنَّ السماوات لا تمتلك لِسانًا، ولا فمًا، ولا شِفاهًا، ولكن جمالها يُثير دهشة الشَّاخصين إليها، فتدفعهم إلى تمجيدِ خالقهم. هكذا إذن، الطريقة التي بها يُمَجِّد كُلُّ ما في باطننا الله. فإذا فحصتَ ما في داخلك، وتأملتَ مَلِيًّا في اختلاف خلقتهم، ووظائفهم، وقوَّتهم، واتفاقهم، وَبُنيَتِهِم، وموضعهم، ونظامهم، وتناسقهم، فإنَّك ستُذيعُ في الحالِ تلك الكلمات النبويَّة: «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ» (مز ١٠٣: ٢٤). أرأيتَ كيفَ أنَّ كُلَّ أعضائنا الداخليَّة تبارك الله بدونِ صوتٍ، ولا فَمٍ، ولا لِسانٍ؟

ولكن لأيِّ سببٍ يوجِّه حديثه للنفسِ؟ حتى«يصدر من الاثنين (أي النفسِ واللسان) سيمفونيَّة موسيقيَّة. ولأنَّه، عندما ترفع يدك لِتُصَلِّي، ولا تنصت إلى كلام الله، فكيف سيسمع الله صلاتك ويستجيب إليها؟ فحينما يقول: «سَبِّحِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ»، فإنَّه يقصد أن نُسَبِّح الله من أعماق نفوسنا، ومن صميمِ قلوبنا، ولهذا قال بولس الرسول: «أُصَلِّي بالرُّوح، وأُصَلِّي بالذهنِ أيضًا» (١كو ١٤: ١٥). إنَّ النفس شأنها شأن الموسيقار والفنان، بينما الجسد هو عضو يشغل مكان القيثارة والناي والمزمار.

فمشيئة الله نحوك هي أنْ يعلِّمك أنَّه يتحتَّم عليك أنْ تُسبحه وتمجده كلَّ حين، وأنْ تُوَحِّدَ كُلَّ هذه الأعضاء معًا، وبلا انقطاعٍ لتمجيدِهِ. فاصغِ إلى بولس الرسول حينما يُنذرنا في رسالته إلى أهل تسالونيكي قائلًا: «صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ. اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١تس ٥: ١٧-١٨). ولأنَّ أعضاءنا متَّحدة دائمًا مع الفنان؛ أي النفسِ، فيجب علينا أنْ نُصَلِّي بلا انقطاعٍ. لقد رَتَّلَ داود بلسانه: «سبِّحي يا نفسيَ الرَّبَّ»، أمَّا الآن، وبعد رقاده، فإنَّ هذا المزمور يُرتَّل بِألسنة لا تُحصَى، ليس بألسنتنا فقط بل بألسنةِ كُلِّ المسكونة أيضًا. هل أدركتَ الآن كيف أنَّه لم يَمُتْ، وما زالَ يحيا معنا بالرُّوح؟ فكيفَ يموت، ذاكَ الذي له ألسنة عديدة مقدار هذه، ويتحدَّث بأفواهٍ لا تُحصَى؟!

عظَمَة قوَّة التسبيح:

إنَّ تسبيح الله هو أمرٌ ذو بَرَكَةٌ عظيمةٌ؛ فعندما سَبَّحَ الثلاثة فتية، أطفأوا بهذه الطريقة لهيب أتون النَّار؛ لم يَخمدوا اللهيب، بل نالوا ذلك الذي يستحقُّ الاندهاش، وهو أنَّهم وَطِئوا بِأقدامهم نار الأتون.

إنَّ التسبيح هو الذي حَلَّ قيود بولس لمَّا كان في السجن، وزَعزَعَ أساساته، وفَتَّحَ أبوابه، وأحدَثَ زلزلة عظيمة وأرعَدَ حافظ السجن. كان هذا «وَنَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ كَانَ بُولُسُ وَسِيلاَ يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللهَ» (أع ١٦: ٢٥). ثمَّ ماذا حدثَ بعد ذلك؟ إنَّ الأمرَ المُدهِش والذي لم يسبق له مثيل هو أنَّ القيودَ تفكَّكَت، وَقَيَّد المُقَيَّدون (بولس وسيلا) الأحرار (حافظ السجن). في الحقيقة، إنَّ الدليل على تلك القيود هو أنْ يُحْرَس السجين بإحكامٍ قاسٍ، وأن يصير تحت سُلطانِ نير حارس السجن؛ ولكن اندفَعَ الآن حارس السجن الحُرِّ، وخَرَّ أمام قَدَمَي بولُسَ السجين.

إنَّ عمل القيود الماديَّة هي أنْ تضع السجين تحت سطوتها، تحت قوَّةِ آلامها، وأن تطرح الأحرار تحت سُلطانِ السُجناء، ولكن طوبى للإنسان الذي يتحمَّلها من أجلِ نعمة المسيح.

وألقوهما في السجنِ، وأوصوا حافظه أنْ يحرسهما بِشِدَّةٍ، وبينما كانا داخل السجن، انفتحت في الحالِ كُلُّ أبوابه الخارجيَّة. ثمَّ يكمِّل لوقا (كاتب سفر أعمال الرسل) حديثه قائلًا: «وَخَرَّ لِبُولُسَ وَسِيلاَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ» (أع ١٦: ٢٩). وهذا هو نهاية ما جرى من أحداث.

فلماذا تتحيَّر أيُّها الإنسان، حينما انفتح باب السجن، بينما نالَ بولسُ أنْ يفتح أبواب السموات؛ «كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ.» (مت ١٨: ١٨).

لقد انحلَّت قيود الخطيئة؛ فلماذا تتعَجَّب إذا رأيته (الرَّبّ) يَحلّ القيود الحديديَّة؟

فَكَّ قيود الشيطان من علينا، وحَرَّرَ أنفسنا التي كانت في قَبضَتِهِ؛ فلماذا تندهش إذا شاهدته يُحَطِّم سلاسل السُجناء؟ لاحظ هذا الأمرَ العجيب من جانبين إذْ إنَّه « حَلَّ ورَبَطَ» أيضًا. حَلَّ القيود، ولكن رَبَطَ القُلوب. «فتَحَ وأَغلَقَ الأبواب» فتح أبواب السجن، ولكنه أغلَقَ عيون قلوب السجناء، لئلَّا ينظروا أنَّ تلك الأبوابَ كانت مُغلقة، ولِئَلَّا يتملَّك عليهم الخوف والرِّعدَة.

أأدركتَ الآن، كيف أنَّه يربط ويحلّ، وكيف يفتح ويُغلِق؟ كان هذا نحو منتصف الليل، لكي يتمّ بهدوء، وبدونِ أيِّ اضطراب، ولأنَّ الرسل القديسين لم يفعلوا أيَّ أمْرٍ شهوةً بالمجدِ الباطل.

وعندما خَرَّ حافظ السجن، ماذا فعل بولس؟ «فَنَادَى بُولُسُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «لاَ تَفْعَلْ بِنَفْسِكَ شَيْئًا رَدِيًّا! لأَنَّ جَمِيعَنَا هُهُنَا!» (أع ١٦: ٢٨). يا له من أمرٍ عجيبٍ لبولس! يا لَعِنايةٍ ويا لَمحبَّةٍ بولس للبَشر! فبولس الذي كان مُقَيَّدًا تحت حراسةٍ شديدة وبطريقةٍ غير إنسانيَّة، لم يترك الحارس أنْ يَقْتُل نفسه، ولا أنْ يمسَّهُ أيُّ أذًى. وأيضًا، أُنظُر إلى نفس العظيم بولس المُتَضِعَة، فلم يَقُل بكبرياء: إنَّ هذه العجائب فعلتها أنا بنفسي، بل نادى الحارس قائلًا له: «لأَنَّ جَمِيعَنَا هُهُنَا!». فعندما رأى الحارس كُلَّ ما حدث، اندهشَ وتملَّكَ عليه الخوف وشَكَرَ الله.

٤) كان حارس السجن مستحقًا بالحقيقةِ عناية بولس ومحبَّته العظيمة؛ فلم يظنّ (الحارس) أنَّ ما حدَثَ كان أعمالًا سِحريَّة. ولماذا لم يَظُنَّ هكذا؟ أَصْغى إلى (بولس وسيلا) وهما يُسبِّحان الله، فالسَّحرة لا يسبحون الله مطلقًا. ولقد كان أيضًا داخل السجن كثيرٌ من الدجَّالين المُقَيَّدين، ولكن لم يصدر منهم أيُّ عملٍ مثل هذا، يمكنه أنْ يحلَّ القيود، أو يُظهر عناية لحافظ السجن.

لم يُفَضِّل بولس الرسول أنْ يهربَ، بل مكثَ داخل السجن لكي يُخَلِّص الحارس من الموتِ. يخبرنا أيضًا لوقا البشير أنَّ حافظ السجن اندفَعَ إلى الداخل ممسكًا بيده سيفًا ومصباحًا؛ والشيطان أراد في هذه اللحظة أن يُبَدِّد هذه الفرصة للتوبةِ، ولكن عندما ناداه بولس بسرعة وبصوتٍ عظيم، فازَ بخلاصِ نفس حافظ السجن. يقول لوقا: (إنَّ بولس) لم يُنادِ فحسب، بل نادى بصوتٍ عظيمٍ قائلًا: «لاَ تَفْعَلْ بِنَفْسِكَ شَيْئًا رَدِيًّا! لأَنَّ جَمِيعَنَا هُهُنَا!». فحينئذٍ تعجَّب حافظ السجن من عناية بولس العظيمة، فخرَّ أمام السجين الحرّ قائلًا: (لأنّ الأصفاد سقطت من يديّ وَرِجْلَي بولس وسيلا) «يَا سَيِّدَيَّ، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟» (أع ١٦: ٣٠).

أتبحث لكي تَجِد طريقَ الخلاص والتوبة؟ أرأيت نفسًا ملتهبة مثل هذه نحو خلاصها؟ لم يُرجِىء خلاصه، بل حينما ابتعد عنه الخوف، ولمست قلبه محبَّة الله، اندفَعَ في الحالِ نحو خلاص نفسه. فبالرغمِ من أنَّ الوقتَ كان نحو نصف الليل، إلَّا أنَّهُ لم يَقُل: سأُفَكِّر في هذا الأمرِ باكرًا، بل هَرَعَ نحو الخلاصِ. يا لهذا الإنسان العجيب! يا لَعِظَمِ شهوته نحو الخلاص، والتي جعلته يتخَطَّى الطبيعة الإنسانيَّة!

حسنًا قال: «يَا سَيِّدَيَّ، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟». إنَّ أولئك الذين آمنوا على أيدي الرُسل لم ينجذبوا بواسطة الآياتِ التي صنعوها فقط، بل انجذبوا بواسطةِ طريقة حياتهم أيضًا. لهذا يقول السيِّد المسيح: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت ٥: ١٦). أُنظر أيضًا إلى نفسِ بولس؟ فإنَّه لم يُؤَجِّل توبة الحارس ولم يهمله، ولكنه بينما هو أسيرٌ، ومقيَّد بالرباطات، وجسده مليءٌ بجراحٍ كثيرةٍ: « وَكَلَّمَاهُ وَجَمِيعَ مَنْ فِي بَيْتِهِ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ.» (أع ١٦: ٣٢) ، فاعتَمَدَ في الحالِ هو والذين له أجمعون، وقدَّمَ لهم مائِدةً.

ولأيِّ سببٍ تزعزعت أساسات السجن؟ لأنَّه أراد أنْ يوقظ حافظ السجن لكي يرى ما حدث؛ حَلَّ قيود السُجناء الماديَّة، حتى يحلَّ رباطات حافظ السجن الرُّوحيَّة. نلاحظ أنَّ السيد المسيح فعل عكس ما فعله بولس، فعندما قدَّموا له مفلوجًا مُصابًا بِشَلَلٍ مزدوج، واحدٌ بسبب الخطيئة والآخر بِسَبَبِ شَلَلٍ جسدي، شفى المسيح أوَّلًا ذلك الشلل (الرُّوحي) الذي أصابه بسبب الخطيئة قائلًا له: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (مر ٢: ٥)، وبعد ذلك قال للمفلوج: «قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» (مر ٢: ١١). شفى السيِّد المسيح أولًا المرض الرُّوحي ثمَّ المرض الجسدي، ولكن قد حدث العكس في حادثة بولس الرسول مع حافظ السجن، حَلَّ أولًا القيود الماديَّة ثمَّ الرُّوحيَّة.

دائمًا ما يُقترن الصوم بالصلاة:

أرأيتَ عظمة قوَّة التسبيح، وعظمة تمجيد الله في الصلاة؟ مقتدرة هي قوَّة الصلاة، فهي تجعل النفس قويَّة جدًّا لاسِيَّمَا إذا اقترنت بالصَّوم.

ولهذا السبب، تربُط الكتب المقدَّسة الصلاة بالصوم. ولكن كيف ومتى؟ تأمَّل مَليًّا معي في تلك الآيات: «لاَ يَسْلُبْ أَحَدُكُمُ الآخَرَ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوافَقَةٍ، إِلَى حِينٍ، لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا لِلصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ» (١كو ٥:٧)، وأيضًا: «وَأَمَّا هذَا الْجِنْسُ فَلاَ يَخْرُجُ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ» (مت ٢١:١٧)، وفي موضعٍ آخر يقول: «فَصَامُوا حِينَئِذٍ وَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا الأَيَادِيَ» (أع ٣:١٣).

٥) ألا ترى أنَّ الصلاة مُتَّحدة دائمًا مع الصَّوم؟ فينبغي علينا أن نقترب إلى الله ونتحدَّث معه بالصلاة، فيصير هو وَحْدَهُ شهوتنا. لأنَّنا إذا أردنا أنْ نقولَ شيئًا مُهِمًّا لأصدقائنا، فإنَّنا نأخذهم إلى مكانٍ ما على انفراد، وهكذا نتحدَّث معهم. فكم بالأحرى يكون هذا الأمر حينما نتحدَّث إلى الله. فإنَّنا ندخل إلى مخادعنا ونُغلق الباب ونُصَلِّي، وفي هذه الحالة نصير في سكينة عظيمة، وننال ما وُعدنا به. وإذا كُنَّا نتضَرَّع إلى الله منْ أجلِ منفعةِ نفوسنا، فإنَّنا سنفوز بكلِّ الخيرات.

وأيضًا إنَّ الصلاة تصير صلاحًا عظيمًا، عندما تنبع من قلبٍ مُفعم بالشُكرِ والنقاءِ الرُّوحي. ولكن كيف تصير قلوبنا مُفعمة بالشُكر؟ إنْ جعلنا نفوسنا تعتاد لا على أنْ تأخذ فحسب، بل أنْ تشكر الله أيضًا عندما يستجيب لها.

فالله تارةً يعطينا ما نطلبه وتارةً لا يُعطينا، ولكنه يفعل هذا منْ أجلِ منفعتنا. سواء نِلتَ أم لم تَنَلْ (ما طلبته في الصلاة)، فإنَّكَ نلتَ ما لم تَنَلْهُ؛ وسواء استجاب الله لصلاتك أو لم يستجب؛ فإنَّك فُزتَ بما لم تسأله. إنَّ هذا الأمر يحدث حينما لا نأخذ من الله ما نطلبه، وإنْ لم يَكُن يُعطينا ما نطلبه لأجلِ منفعتنا، فماكان يهبنا أيَّ شيء، وإذا لم يستجب إلى طلبتنا منْ أجلِ منفعتنا، فإنَّ هذا يُعتبر في حَدِّ ذاته إستجابةً.

فأحيانًا كثيرة يُعطينا الله ما نسأله، ليس لأنَّهُ يريد أنْ يُبعدنا منْ أمامه، بل لأنَّ إمهال الله في استجابته يهبنا اللجاجة في الصلاة. وعندما ننال ما نطلبه، فإنَّنا نفقد غَيْرتنا نحو الصلاة، أمَّا عندما يتأنَّى الله في استجابته؛ فإنَّه يُريد بذلك أنْ نزيد منْ أسهَارِنا في الصلاةِ. مثل الآباء العطوفين الذين يفعلون هكذا نحو أبنائهم غير المُبالين الذين يهرعون تُجاه الألعاب، فإنَّهم يضبطونهم دائمًا على وعد بهديَّة عظيمة، فتارةً يوفون بِوَعْدِهِم وتارةً أُخرى لا يستجيبون. فدائمًا لا يبدو الذي نطلبه أنَّهُ منْ أجلِ منفعتنا، بل الله – الذي يعرف ما يتَّفق معنا – لا يُعطينا ما نطلبه في صلواتنا، بل يعتني دائمًا بمنفعتنا التي لا ندركها نحن.

يا له منْ أمرٍ يستحقُّ الاندهاش، إنْ لم نسمع ماذا حدث مع بولس الرسول؟ فهو أيضًا لم يَنَل ماكان يسأله من الله، ولكنه لم يتَذَمَّر، بل كان يشكر الله دائمًا قائلًا: «مِنْ جِهَةِ هذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي» (٢كو١٢:٨). «ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» تعني هنا مرارًا كثيرة. فإذا لم يَكُن بولس الرسول قد تضرَّعَ إلى الله مرارًا كثيرة، ماكان لِيَنَل سُئْلَ قلبه. فكم بالأحرى نحنُ، إذْ ينبغي علينا أنْ نُصَلِّي بلجاجة في ما نتضرَّع به إلى الله.

ولأنَّه (بولس) سأل الله كثيرًا من جهة هذا الأمر ولم يَنله، فلنرَ كيف كان تصرُّفه تُجاه الله! الذي لم يستجب له؟ لم يحزن، بل افتخر بأنَّه لم يَنَل ماكان يسأله من الله وقال: « مِنْ جِهَةِ هذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي، فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ»، وأضاف:«فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي» (٢كو ١٢:٨-٩).

٦) أرأيتَ ماذا فعل (بولس)؟ سأل الله أنْ يُخلِّصه منْ ضعفهِ، لم يتذمَّر بل كان يفتخر دائمًا في ضعفاته. هكذا نحن أيضًا، فلنشكر الله سواء استجاب أو لم يستجِب لسؤالنا، لأنَّه لا يفعل هذا إلَّا لمنفعتنا. فإنْ كانت الاستجابة تتعلَّق بسلطان الله أنْ يُعطينا، فيخصّ سلطانه أيضًا متى يُعطينا، وماذا يُعطينا وما لا يُعطينا. أنتَ لا تعرف أين وما هي منفعتك، ولكن الله يعرفها جَيِّدًا جدًّا.

أحيانًا أنت تطلب أمورًا خطرةً ومُضِرَّةً، ولأنَّ الله يهتم بخلاص نفسِكَ، فإنَّهُ لا ينظر إلى سؤالك، بل قبل كُلِّ شيء تهمّه منفعتك دائمًا. فإذاكان الآباء الجسدانيُّون لا يعطون أولادهم ما يسألون، ليس لأنَّهم يزدرون بهم، بل لأنَّ ما يهمهم هو منفعة أولادهم فقط، فكم بالأحرى الله الذي أحبنا حتى الموتِ، والذي يُدرِك أين هي منفعتنا.

فَلنُصَلِّ يا أحبائي دومًا، ليس **طوال أيام هذا الأسبوع** فحسب، بل طوال ليالي حياتنا. أنصِت إلى ما يقوله النبيّ في المزمور: «فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَقُومُ لأَحْمَدَكَ عَلَى أَحْكَامِ بِرِّكَ.» (مز ١١٨:٦٢). فبالرغم من أنَّ داود كان إنسانًا وملكًا وأُعطِيَ سُلطانًا على الشعوب والمدن والأمم، ويعتني بسلامهم ويوقف الحروب، وعلى عاتقه الكثير من شؤون المملكة التي لا تُوصَف، والتي لا تتركه حتى ولو للحظَةٍ واحدةٍ حتى يستريح، إلَّا أنَّهُ كان يَزيد منْ صلواتِهِ ليس طوال النهار فحسب، بل طوال الليل أيضًا.

فإذا كان الملك يعيش وسط التنعُّم والتلذُّذ، وعليه أنْ يعتني بمملكته وشؤونها؛ فإنَّه لا يقدر أنْ يُصَلِّي وينعم بالسكينة الداخليَّة، ولو حتى لليلَةٍ واحدةٍ، لكن كان داود يُصَلِّي بشهوةٍ واحتراز أعظم منْ **المتوَحدين الساكنين في الجبال.**

أخبرني، أيُّ غفران سنناله، ونحن نحيا في رخاءٍ ورفاهيَةٍ، ونرقد كُلَّ ليالي حياتنا، ولا نُعطي أيَّ اهتمامٍ لقانونِ صلواتنا اليومي.

الصلاة هي أمُّ الفضائل:

إنَّ الصلاة سلاحٌ عظيمٌ، سلامٌ داخليّ، ميناءٌ، كنز الصالحات، ونبعٌ لا ينضُب. فعندما نحتاج إلى مساعدة الآخرين، فإنَّنا نُنفق الأموال، ونتملَّقهم، ونقوم بزياراتٍ كثيرة منْ أجلِ التفاوض. لأنَّهُ منْ غير الممكن أنْ يتحدَّث أحدٌ ما مُباشرة مع الرُّؤساء. بل لابُدَّ أنْ يتملَّقهم أولًا بالأموال وبالكلام، وحينئذٍ يقدر بالوساطةِ أنْ ينالَ ما يطلبه.

ولكن هذا الأمر لا يحدث مع الله؛ فإنَّه لا يَهب نعمته بمنتهى السهولة حينما يتضرَّع إليه الآخرون (كوسطاءَ لنا)، بل حينما نتضرَّع إليه نحن أنفسنا. وفي هذه الحالة، فإنَّنا نربح سواء نِلنا ما نطلبه أو لم نَنله، أمَّا عندما نطلب أيَّ أمرٍ مِنَ الآخرين فإنَّنا نخسر سواءَ أخذنا ما كُنَّا نطلبه أو لم نأخذه.

ولأنَّنا نقتني منفعة عظيمة لأنفسنا عندما نقترب إلى الله، فلا نَعُد نزدري بعد الصلاة، لأنَّك في الصلاة سوف تتحدَّث إليه وتتصالح

معه، وعندما تتضرَّع إليه أنت بنفسِكَ بقلبٍ نَقِيٍّ وبفكرٍ طاهرٍ، فإنَّه سيهبك ما كنتَ تسأله. لا تتضرَّع إليه بتهاونٍ، ذلك الأمر الذي يفعله الكثيرون، فبينما تنطق شفاههم بأقوالِ الصلاة، تجد نفوسهم مشتَّتة في أماكن كثيرة في المنزل، في السوق، وفي الشوارع. وهذا هو **الفخّ الذي يحاول الشيطان** أنْ يوقعنا فيه، لأنَّه يعرف جيِّدًا أنَّنا في وقت الصلاة ننال غفران خطايانا، ولذلك يريد أنْ يعوقنا من الوصولِ إلى ميناء الصلاة. ففي ساعة (الصلاة) يهيج العدوّ مُحاولًا أنْ يفصلَ فكرنا عن الصلاة حتى نخرج أمام **الله** خاسرين، ولا نصير رابحين.

فَكِّر، أيُّها الإنسان، حينما تتقدَّم إلى **الله** إلى منْ ستأتي، واعلمْ أنَّ النعمة التي سيهبك إيَّاها (في الصلاة) سوفَ تكفيك.

ثَبِّت أنظارك نحو السماء دومًا، وتأمَّل مع منْ ستَتَحَدَّث. لأنَّه إذا تحدَّث إنسانٌ ما مع شخصٍ ذي كرامةٍ أرضيَّةٍ، وما زال مهتمًّا بالآخرين، فإنَّه في الحالِ يركِّز (معه) ويصير أكثر انتباهًا، فكم بالأحرى نحنُ، فإنْ انتبهنا إلى أنَّنا نُخاطب **ربّ الملائكة**، فإنَّنا سنكون متيقِّظين .

أحبائي، إنَّنا نقبل الآلام من خاصتنا كُلَّ يوم، ومن الغُرباء، ومن جيراننا سواء في السوق أو في المنزل، لكنَّنا في الصلاةِ نُداوي كُلَّ هذه الجراح. فإنْ أتينا إلى **الله** بفكرٍ عفيفٍ، وبنفسٍ ملتهبة ومُتَلهِّفة نحوه، وسألناه المغفرة، فإنَّه سيهبنا غفران خطايانا الذي نشتاق إليه جميعًا. بنعمة ومحبَّة **ربنا يسوع المسيح** للبشر، الذي له المجد مع **أبيه الصالح والرُّوح القُدُس** إلى دهر الداهرين، آمين.

أنْ نفتح عيوننا على بُؤس البشرِ، فنحاول تخفيفه بدلًا من أنْ نغسل منه أيدينا، أنْ نجد فرحنا في بلسم ألمٍ، أنْ نشترك في عناء الغير،أنْ نحمل للحظة على كتفنا صليب الآخر، أنْ نمسحَ دمعة ما، أنْ نرسم ابتسامة على شفاه محزون، أنْ نساعدَ طفلًا على الحياة، أنْ نواسيَ شيخًا أضنته السنون، باسم **الرَّبِّ** ومن أجل مجد اسمه.

هذا هو نبع الحقيقة والحياة والفرح. إنَّهُ أمرٌ لا يخضع لبرهان أو تفسير بل هو شيء نحياه ولا يمكن معرفته إلَّا بأنْ نتحمَّل العبء ونعيشه.

القديس بطرس الرحيم

عاش **بطرس** في القرن السادس للميلاد، أيام **الإمبراطور يوستينيانوس**. كان قَيِّمًا على الجباية في بلاد إفريقيا، وكان غنيًّا جدًّا وقاسيًّا جدًّا لا يرحم. وقد اعتاد الشحاذُّون أنْ يخبروا، كلَّما اجتمعوا، كيف أنَّهُ لم يسبق لأحد أنْ حَصَّلَ منه شيئًا. فقام واحد منهم مرَّةً، وشارطهم أنَّهُ بإمكانه حمل **بطرس** على إعطائه حسنة ولو كان بخيلًا. ثم ذهب يبحث عنه، فإذا به يلقاه عائدًا إلى بيته ومعه على دابته خبزٌ كثيرٌ. فتقدم الشحاذ وأخذ يسأله صدقة، فانتهره **بطرس** وشتمه. فأعاد الكرَّة وألَحَّ إلى أن عيل صبر **بطرس** واشتعل غضبًا. وإذْ أراد أنْ يرميه بشيءٍ ما ليصرفه عنه، قبض سهوًا، على رغيف وقذفه به، فاخذ الشحاذ الرغيف فَرِحًا ولاذَ بالفرارِ.

وبعد أيام قليلة، مرض **بطرس** واشتّد مرضه. فرأى ذات ليلة، في الحلمِ أنَّهُ مات وسيق إلى مكان الدَّينونة. وهناك شاهد ميزان العدالة وأعماله مشهَّرة أمام عينيه. وكانت **الشياطين** واقفة قرب الكفة اليُسرى **والملائكة** قرب الكفة اليُمنى. أولئك يكدِّسون شرور **بطرس** في كفتهم، فيما الملائكة واقفون حزانى إذ لم يجدوا حسنة واحدة يلقونها في كفَّتهم. ولما طال انتظار الملائكة وأوشك الحكم أن يصدر، إذا بملاك يقول: «ليس لنا ما نضعه سوى هذا الرغيف الذي رمى به بطرس أحد الشحّاذين منذ يومين، ربما ينفع». ثم أسرع فألقى بالرغيف اليتيم في الكفة اليُمنى، فارتفعت اليسرى وتساوت الكفتان رغم ذنوب **بطرس** الكثيرة.

فاستفاق **بطرس** مرتعدًا منذهلًا يتصبب عرقًا وقال لنفسه: «لقد أراني **الرَّبُّ** خطاياي التي اقترفتها منذ صباي. ولكن إذا كان رغيف واحد قد تساوى وذنوبي كلِّها، مع أنِّي ألقيته للشحّاذ رغمًا عنِّي، فكم مِنَ الخيرِ سأجني إذا ما أكثرت مِنْ أعمال الرحمة بإرادتي؟!»

ومنذ ذلك اليوم تحول **بطرس** إلى أكثر الناس رأفة بالمساكين. فوزَّع خيراته كلَّها عليهم، ثم باع نفسه عبدًا **بثلاثين من الفضة** وأعطاها للمُعوَزين، باسم **يسوع**، فصار يُعرف منذ ذلك الحين **ببطرس الرحيم**.

(نقلا عن السنسكسار)

الإصحاح الرابع

العظة الحادية عشرة : (١كو ٤: ٣-٥).

«وَأَمَّا أَنَا فَأَقَلُّ شَيْءٍ عِنْدِي أَنْ يُحْكَمَ فِيَّ مِنْكُمْ، أَوْ مِنْ يَوْمِ بَشَرٍ. بَلْ لَسْتُ أَحْكُمُ فِي نَفْسِي أَيْضًا. فَإِنِّي لَسْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِي ذَاتِي. لكِنَّنِي لَسْتُ بِذلِكَ مُبَرَّرًا. وَلكِنَّ الَّذِي يَحْكُمُ فِيَّ هُوَ الرَّبُّ.» (١كو ٤: ٣-٤).

١) لا أعرف كيف اخترقَ داء الفُضول وحُبّ الاستطلاع والانشغال بإدانة الآخرين: «لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا» (مت ٧: ١)، وكما هو معروف فإنَّ هذه الإدانة مثلها مثل الخطايا الأُخرى، لا تُقَدِّم أيَّ سعادة، بل فقط تقود صاحبها إلى الجحيم وإلى العقاب. إذْ بينما نحن أنفُسنا مُفْعَمونَ بالشُّرور، ونعرف تمامًا كُلَّ خطايانا، والتي لا تختلف أبدًا عن **حَسَد القريب والغِيرةِ منه**، أصبحنا نفحص كُلَّ شيءٍ يخصُّ الآخرين بِدِقَّةٍ، هذا تحديدًا ما كان يحدث في كورنثوس. أي أنَّهم بسبب جهلهم، يسخرون ويتعاملون بعدمِ لياقة مع رجال أتقياء ومُحبِّين لله، مُعتبرين أناسًا مملوئين بشرورٍ لا حصر لها، أنهم أهلٌ للثقة وجديرون بالتقدير، بسبب فصاحتهم في الكلام. بعد ذلك حدث أنَّ أُناسًا قد حَكموا وبوقاحَةٍ – وهذا قد سبق الإشارة إليه – بأنَّ: هذا مستحق التقدير، وذاكَ أسمى من غَيرِه، وأنَّ هذا أدنى، بينما ذاكَ أفضَل مِنْ هذا. وبعدما توقَّفوا عن الحزن على خطاياهم، صاروا مِمَن يَدينون الآخرين، ووفقًا لهذا النهج وهذه الخِطَّة، فقد أثاروا نقاشًا مؤسِفًا ومُحزِنًا، بصفةٍ دائمة.

إنتبه إلى مدى الحِكْمَةِ والتعقُّل اللذين للقديسِ بولس، لأنَّه في محاولاته لكي **يُقَوِّم** هذه الأمور **ويَشفِيَ** هذا الدَّاء، قال: «ثُمَّ يُسْأَلُ فِي الْوُكَلاَءِ لِكَيْ يُوجَدَ الإِنْسَانُ أَمِينًا.» (١كو ٤: ٢)، ولأنَّه مِنَ الواضح أنَّه قد سَمَحَ لهم أنْ يَحكموا وأنْ يَفحَصُوا حياةَ كُلّ أحد، وأنَّهُ قد نَصَحَ بهذا وفقًا لهذا النظام، ولكي لا يُصابوا بداءِ الإدانة، فقد أبعدهُم عن هذا النوع من السُّفْهِ، قائلًا: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقَلُّ شَيْءٍ عِنْدِي أَنْ يُحْكَمَ فِيَّ مِنْكُمْ» ، وها هو مرَّةً أُخرى يسوق الحديث إلى شخصهِ. وماذا يعني بقوله: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقَلُّ شَيْءٍ عِنْدِي أَنْ يُحْكَمَ فِيَّ مِنْكُمْ، أَوْ مِنْ يَوْمِ بَشَرٍ. **(حُكم إنساني)؟**». يعني كما يقول: أحكم بأنَّني غير مستحق بأنْ يُحكَم فِيَّ منكم. ولماذا أقول منكم؟ بل أيضًا وأن يُحكَم فِيَّ من أيِّ أحدٍ آخر، لكن لا يستطيع أحدٌ أنْ يتهم القديس بولس بعدم اللياقة، إنْ كان قد قال إنَّه لا أحد مِنَ الناس مستحقٌ أنْ يَحكُم فيه.

أولًا لأنَّه لا يقول هذا الكلام عن نفسه، بل لأنَّه يُريد أنْ يُنقِذ آخرين مِنْ مُضايقات أولئك الذين يُثيرون الانشقاقات. فهو لم يحصُر الموضوع في حالة أهل كورنثوس، بل إنَّه أنقَذَ نفسه مِنْ هذا المأزق، قائلًا: إنَّ الأمرَ يتجاوز قُدرته على التحكيم في أنْ يُبدي رأيًا أو يحكم في مثلِ هذه الموضوعات. ثمَّ أضافَ: «بَلْ لَسْتُ أَحْكُمُ فِي نَفْسِي أَيْضًا». ويجب معرفة السبب الذي دفعه ليقول ذلك، خاصَّةً وأنَّه كثيرًا ما كان يتحدَّث بافتخارٍ، لكن بدون تباهٍ ولا سَفْهٍ، بل بِأحساسٍ مُمَيَّزٍ ورائع بالتدبير. لأنَّهُ الآن أيضًا يقول هذا، لا بدافع الزَّهوِ الشخصي، بل محاولة منه أنْ يضبط سلوك البَعض، وأنْ يحفظَ كرامة المؤمنين. ومنْ حيث أنَّهُ كان مِنْ أكثر المُتَضعين إسمع ما يقول، مُشيرًا إلى رأي أعدائه في هذا: «وَأَمَّا حُضُورُ الْجَسَدِ فَضَعِيفٌ، وَالْكَلاَمُ حَقِيرٌ» (٢كو ١٠: ١٠)، وأيضًا: «وَآخِرَ الْكُلِّ -كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ - ظَهَرَ لِي أَنَا.» (١كو ١٥: ٨).

لكن هذا المُتَضع، عندما دعتهُ الظروف للتحدُّث، لاحِظْ كيف سَمَا بأفكار تلاميذه، دون أنْ يُعَلِّمهم الزَّهْوَ والافتخارَ، بل حاوَلَ أنْ يغرس فيهم فكرًا صِحِّيًّا ومستقيمًا. لأنَّهُ تحدَّثَ إلى هؤلاءِ أنفسِهم قائلًا: «فَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُدَانُ بِكُمْ، أَفَأَنْتُمْ غَيْرُ مُسْتَأْهِلِينَ لِلْمَحَاكِمِ الصُّغْرَى؟» (١كو ٦: ٢). أي أنَّهُ كما أنَّ المسيحي يجب أنْ يكون بعيدًا عن الافتخار والتباهي، هكذا ينبغي أنْ يكون بعيدًا عن النِفاق، وعن الفكر المتَدنِّي. لأنَّنا لنْ نتَّهِمَهُ بالتَّباهي والزَّهوِ، إذْ قيل إنَّهُ يعتبر أنَّ المال لا يُساوي شيئًا، وأنَّ كُلَّ شيء في هذه الحياة هو بمثابة ظِلال وأحلام وألعاب طفوليَّة. وإذا اعتبرنا هذا الكلام تباهيًا وافتخارًا، سنكون قد حكمنا بالإدانةِ على **سليمان النبي**، واتهمناه بالزَّهوِ والكبرياء لقوله: «بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ، الْكُلُّ بَاطِلٌ.» (الجامعة ١: ٢).

إذًا لا ينبغي أنْ نعتبر أنَّ مواجهة الحياة بحكمة، هي افتخار وتباهٍ. وبناءً على ذلك، فإنَّ احتقار الأمور الأرضِيَّة، لا يُعَدُّ سفاهة، بل عظَمة نفس. ولكننا نرى مُلوكًا وولاةً وأُمراءَ، محصورين في الأمور الأرضِيَّة، بينما يحتقرها الفقير ولا يلتفت إليها، ولذلك نقول عنه أنَّه مُتباهٍ أو مفتخر، بل إنَّهُ على العكسِ من ذلك ندعوه **كريم النفس**، كما أنَّنا لن نَصِف مَنْ يَتطلَّع بقوَّةٍ نحو هذه الأمور، بأنَّهُ متَّضِع ومعتدل، بل نعتبره مريضًا، ومُصابًا بِصِغَرِ النفس، ومُستَعبَدًا لها. لأنَّهُ لو أنَّ أحد الأبناء احتقر كُلّ ما يمتلكه أبوه، وأُعجِبَ بما لدى العبيد، فذاك لنْ نُشير إليه كإنسان يحمل فكرًا مُتضِعًا، بل سنُدينه كأنسان تافه، ويسلك كالعبيد، سنُعجَب به فقط إذا احتقَرَ ما للعبيد، واهتمَّ بشدَّةٍ بما لدى أبيه. أي أنَّ الأمر الحقير أنْ يعتقد أحدٌ في نفسه أنَّهُ أفضَل مِنْ شُركائه في العبوديَّة، لكن أنْ يَحكُم على الأمور كما هي في حقيقتها، فهذا لا يَنُمُّ عن أيِّ افتخار وتباهٍ، بل يُظهر مدى المواجهة الحكيمة للأمور.

٢) ولذلك فإنَّ القديس بولس لم يتحدَّث هكذا انطلاقًا مِنَ الشعورِ بالفخرِ، بل لأنَّه كان يُحاول أنْ يجعل آخرين ممن تهجَّموا قبلًا على رجال مُتَّضِعِينَ، أنْ يُصبِحوا هم أنفسهم متضعين، وأنْ يُقنعهم بأنْ يكونوا معتدلين في سلوكهم وحياتهم، ولهذا قال: « وَأَمَّا أَنَا فَأَقَلُّ شَيْءٍ عِنْدِي أَنْ يُحْكَمَ فِيَّ مِنْكُمْ، أَوْ مِنْ يَوْمِ بَشَرٍ». أرأيت كيف عالَجَ أولئك أيضًا. لأنَّ ذاكَ الذي سمعتُ عنه إنَّه يحتقر كُلّ شيء، ولم يَكن هناك مَنْ يستحقّ أنْ يَحكُم عليه، لم ينزعج إنْ كان هو فقط، الذي رُفِضَ أنْ يكون حَكَمًا. أي إنْ كان قد قال كلمة «فِيَّ» فقط، فهذا يعني أنَّهُ كان مِنَ الممكن أنْ يُوبِّخهم إذْ حَكَموا عليه، ولكنه الآن عندما يُضيف عبارة: «أَوْ مِنْ يَوْمِ بَشَرٍ» ، فهو يخفِّف الجُرح، بأنْ يُقَدِّم لهم شُركاء في الحُكم عليه. بل ويشفي نفسه أيضًا، إذ قال: «بَلْ لَسْتُ أَحْكُمُ فِي نَفْسِي أَيْضًا». لاحظ أنَّ ما قاله، لا يُظهِر أي افتخار أو تباهٍ، بمعنى أنَّهُ، هو نفسه غير قادر أنْ يحكُم بدقَّة في هذه القضيَّة. بعد ذلك ولأنَّ هذا الكلام يبدو وكأنَّهُ يعكس صورةً لافتخارٍ شديد، فإنَّهُ يُصَحِّح هذا بقوله: «لكِنَّنِي لَسْتُ بِذلِكَ مُبَرَّرًا».

ماذا إذًا؟ ألَا ينبغي أنْ نحكُم على أنفُسِنا، وعلى خطايانا؟ **بَلَا، يجب أنْ نفعل** هذا وبِشِدَّة أيضًا، عندما نُخطىء. إلَّا أنَّ الرسول بولس لم يفعل هذا، إذ قال: «فَإِنِّي لَسْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِي ذَاتِي». وأيُّ خطيَّة تلك التي كان سيحكُم عليها، مادام أنَّهُ لم يشعر بشيء في ذاته؟ ومع ذلك يقول: «لَسْتُ بِذلِكَ مُبَرَّرًا». وماذا سنقول نحنُ الذين نحمل ضميرًا مملوءًا بإصابات وجروحٍ كثيرة، ولا نشعر بأيِّ شيءٍ حسن فينا، بل العكس بأنَّ كُلَّ ما فينا هو سيِّء؟ ولماذا لا يتبرَّر كُلّ مَنْ يشعر في ذاته، أنَّهُ لم يفعل شيئًا سَيِّئًا؟ لا يكون المرءُ مبرَّرًا، لأنَّهُ قد يحدث أنْ يكون قد فعل بعض الخطايا، لكن دون أن يُدرِك أنَّها خطايا. تأمَّل إذًا من خلال هذا المثال، كيف ستكون دِقَّة الحُكم في الدينونة الأخيرة، يقول: إنْ يُحكَم فيه من أولئك، فهذا أقلُّ شيء عنده، لا لأنَّهُ اعتقَدَ في نفسه أنَّهُ بلا لوم، بل لأنَّه أرادَ أنْ يَسُدَّ أفواه الذين صَنعوا هذه الأمور بلا تفكير وبلا هدف.

لكنه في الحالة الأُخرى، لم يسمح لهم أنْ يحكموا على الآخرين، حتى عندما كانت الخطايا واضحة، لأنَّ هذا ما كانت تقتضيه الظروف، وتتَطلَّبُهُ الوصيَّة. لأنَّه يقول: «وَأَمَّا أَنْتَ، فَلِمَاذَا تَدِينُ أَخَاكَ؟ أَوْ أَنْتَ أَيْضًا، لِمَاذَا تَزْدَرِي بِأَخِيكَ؟» (رو١٤: ١٠). لأنَّهُ يجب عليك أيُّها الإنسان أنْ تفحص ذاتك قبل أن تَحكُم على غيرك. لماذا تُخِلُّ بنظامِ وترتيب **الرَّبّ؟** الحكُم بالدينونة هو عمل الله. وليس عملك أنتَ ولذلك أضاف:

«إِذًا لاَ تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلاَمِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللهِ.» (١كو٤: ٥).

ماذا إذًا؟ ألَا يجب على المعلِّمين أنْ يحكموا؟ يجب أنْ يحكموا فيما يخصُّ الخطايا الواضحة التي يعترف بها الخَطأَةُ، وهذا في الوقت المناسب، على أنْ يكون اعترافهم هذا بسبب الحزن والألم على خطاياهم، وليس كما كانوا وقت ارتكابها، حين كانوا يفعلونها بِزَهْوٍ وَتَبَاهٍ. ولماذا لم يتحدَّث هنا عن الخطايا المعترف بها، بل عن مُقارنة بين مُستَوَيَيْنِ من البَشر، مستوى أعلى وآخر أقلّ. إنَّ الذي سيُدين وحده خفايا قلوبنا، هو ذاك الذي يعرف كيف يحكُم تحديد مَنْ يستحق المكانة العظيمة، ومَن يستحق عقوبة صغيرة، أو يستحق الكرامة. أمَّا نحن فنحكُم من خلال ما نُشاهده، أي أنَّني مادمتُ –كما يقول – لا أعرف خطاياي بوضوح، فكيف أكون مستحقًّا لأن أَحكُم على الآخرين؟ فإنْ كان الرسول بولس قد شعر بذلك، فبالأكثر جدًّا يجب علينا أنْ نشعر بنفس الشعور. لأنَّه – وهذا حقٌّ – قد تكلَّم بهذه الأمور، لا لكي يُظهر نفسه أنَّهُ بلا لوم، بل لكي يُبَيِّن أنَّهُ، حتى وإنْ كانَ في وسطهم، مَن هو بلا لوم، فإنَّهُ غير مستحق أنْ يَحكُم على حياة الآخرين. ولكي يُبَيِّن أيضًا أنَّهُ مادام، أنَّ الذي لا يشعر في ذاتِهِ بشيء، لا يَعْتَبِرُ نفسه مسؤولًا عن الآخرين، فبالأكثر جدًّا أولئك الذين لديهم معرفة بخطاياهم الكثيرة.

فبعدما سَدَّ أفواه أولئك الذين تمادوا في مثل هذه الأحكام، وبعدما سَيطَرَ على غضبه فيما بعد، حَزِنَ كثيرًا عندما تَطَرَّقَ إلى موضوع الزَّاني. وكما أنَّ الأجواء السَّيئة يسبقها دومًا بعض السُّحب السوداء، ثمَّ بعد ذلك حين تُسمَع أصوات الرعود القويَّة، ويُغطِّي السحاب السماء، عندئذ تسقط أمطار غزيرة على الأرض، فهذا تحديدًا ما حدث آنذاك. لأنَّه كان ينوي مواجهة الزَّاني بغضَبٍ شديد، مبتدئًا بكلامٍ قاسٍ جدًّا، لكي يردعَ أو يكبحَ تَبَاهِيَ وَزَهْوَ الرجل، لأنَّ الحدَث في حَدِّ ذاته، كان يمثِّل خطيَّة مزدوجة، زِنَى، وشيء أكثر من مجرَّد الزِنَى، ألَا وهو انعدام النَدَم والحزن على الخطيَّة. لأنَّ الحزن ليس على الخاطىء، بل بالأكثر على الخاطِىء الذي لا يتوب، لأنَّه يقول: «وَأَنُوحُ عَلَى كَثِيرِينَ مِنَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَتُوبُوا عَنِ النَّجَاسَةِ وَالزِّنَا وَالْعَهَارَةِ الَّتِي فَعَلُوهَا.» (٢كور ١٢: ٢١). بمعنى أنَّ مَنْ يتوب بعد فعل الخطيَّة، يكون مستحقًّا ليس الحزن والنواح، **بل للتطويب، وينتسب إلى صفوف الأبرار،** لأنَّ **إشعياء النبيّ** يقول: «ذَكِّرْنِي فَنَتَحَاكَمَ مَعًا. حَدِّثْ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ.» (اش ٤٣: ٢٦). لكن إنْ كان لا يستحي حتى بعد ارتكاب الخطيَّة، فلن يكون تَعِسًا وبائسًا بهذا القَدر، بسبب سقوطه، بل بسبب **بقائِهِ في السقوط.**

(يتبع في العدد القادم)

cover_4_pages.ai 1 02/03/2024 11:05

يقول القديس بورفيريوس في سياق حديثه أنَّ المسيح هو: (تو پان To Παν)، لا يوجد تفسير مطابق تمامًا لهذه الكلمة اليونانيَّة، لكنَّها إشارة إلى درجة كبيرة وعالية منَ السمُوّ والإرتقاء، فالمسيح يجمع ويضمّ الكون كلّه فيه. «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.» (يوحنا ١ :٣).

كُنْ في أعمَالِكَ وافكارِكَ مع المسيح. أُذكر أُغنية واحدة: «مع المسيح دومًا لا أخافُ أبدًا».

هل سمعتها؟ الأولاد يُرَدِّدُونها دائمًا.

إذًا هكذا بالحَقّ يجب أنْ نرى المسيح. هو صديقنا، أخونا. هو كُلُّ شيءٍ حسنٌ وجميلٌ. هو كُلُّ شيء. هو صديق يصرخ لنا: «أنتم أصدقائي أتفهمون ذلك؟ إنَّنا إخوة. أنا أُحِبُّكم. أُريدُكم أنْ تفرحوا مع في حياتكم». أَفَهِمتُم ذلك؟

هكذا يكون المسيح. ليس حُزنًا، أَسًى، ولا انكماشًا على النَفْسِ مِمَّا يفكِّر بِه الإنسان أو يُعاني منه، مِنْ جرَّاءِ أفكارٍ مختلفةٍ وضغوطٍ عديدَةٍ تجرحُهُ خلال حياته مِنْ حينٍ إلى آخر.

المسيح حياةٌ جديدة. كيف أشرح ذلك؟ المسيح هو كُلُّ شيء، هو الفَرَح، الحياة، النور، نور الحقّ الذي يجعل الإنسان يَفرَح، يُحلِّق يرى كُلَّ شيء، يرى الجميع، يتألَّم عن الجميع، يُريد الكُلَّ معه، والجميع إلى جانب المسيح.

نحنُ عندما نَجِدُ كنزًا ما أو أَيَّ شيءٍ آخر، لا نُريد أنْ نُخبِر عنه أحدًا. لكن المسيحي عند رؤية المسيح، عند معرفته إيَّاهُ، عندما يلتصق بِهِ ، يرومه يرغب أنْ يَعلُو بصوته ويُحدِّث الجميع عنه: «أَحِبُّوا المسيح ولا تُفَضِّلُوا أيَّ شيءٍ آخرَ على محبَّتِهِ». مَنْ هو المسيح؟ المسيح هو كُلُّ شيء، هو يُنبوع الحياة، هو رأس القِمَمِ، هو كُلُّ شيء. الأمور مع المسيح تكون حَسَنَةً كُلُّها.

بعيدًا عن المسيح يأتي الحُزن، القَلَقُ، العَصَبيَّة، الضِّيق، تَذَكُّر جُروحات الحياة، الضغوطات والأتعاب. كلُّها تبدو ظاهرة. كُلُّها نحياها في حياتنا. نأتي إلى هنا وإلى هناك دون أنْ نَثبُت على شيء.

عندما نَجِدُ المسيح ولوْ كُنَّا داخل مغارة، نمكث هناك ونخاف الابتعاد لِئَلَّا نَخسر المسيح. فَتِّشوا تَروا أنَّ النُساك الذين عرفوا المسيح لا يرغبون مغادرة المغارة ولا الخروج إلى أبعدِ منها. بل يُريدون البَقاء فيها، لأنَّهم يشعرون أنَّ هناك المسيح معهم.

المسيح كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وهو مالىء الكون

المسيح هو ينبوع الحياةِ والفرح، كُلُّ شيء. أنت يا نيقولا كيف ترى ذلك؟

ـ **شخصٌ ما**: يا أبانا الشيخ ما سَبَقَ وقلته هو أقوال ذهبيَّة. هو الواقع. كما تقول أنتَ. هكذا هي.

ـ **الشيخ** : نعم هكذا نحن مدعوون أنْ نعيش. عندما نقول إنَّنا مسيحِيِّون. عندها إنَّنا للمسيح. وفي أوقات ضعفنا، ما أنْ نرى المسيح حتى نُبَدِّل رأينا فورًا ونرغب بالبقاءِ معه. لكن المسيح هو صديقنا هو أخونا. يصرخ ويقول لنا: «أنتم أصدقائي». لا أُريد أنْ تنظروا إلَيَّ بطريقَةٍ أُخرى. أُريدُ أنْ تروني هكذا: أنا الله، أنا كلمة الله أُقنوم واحد مِنَ الثالوث الأقدس. أُريد أنْ تعتبروني خاصَّتكم، صديقكم، أُريدُ أنْ تُعانِقوني، أنْ تَشعروا في أعماقكم أنِّي صديقكم، أنا ينبوع الحياة في الحقيقةِ.

هذه هي الحقيقة. قُلنا الآن أنَّ **الشيطان** موجودٌ. هناك **جهنَّم** أيضًا وهناك **موت**. كُلّ هذه موجودة وموجودة بالفعلِ. هذا هو الجانب الآخر، **جانب الشَرِّ والظلمة**.

ينبغي على رَجُلِ الله أنْ يَحِبَّ المسيح، وعندما يُحِبُّهُ، ينعتق من الشيطان، من الجحيم، ومن الموتِ.

ربما قُلتَ لي هل أنتَ وَصلتَ إلى هذه الحالَةِ؟ **(سؤال مُوَجَّه إلى الشيخ بورفيريوس)**.

كَلَّا لم أَصِل بَعدُ. لكني أطلبها اريدها. في صمتي وأينما وُجِدتُ أُحاول أنْ أعيشها. أنا لا أعيشها. لكني أُحاول. كيف أشرح لَكَ. ماذا أقول؟ لم أذهب إلى هناك ... أو بالأحرى ذهبتُ مرَّة ورأيتها. الآن لستُ هناك، لكني أتذكره، أشتهيه. نعم في هذه اللحظة، غدًا وبعدَ غَدٍ، في كُلِّ لحظة يأتي إلَيَّ وأريده. أريد أنْ أذهب إليه. أَطْلُبُهُ في كُلِّ حين. لا استطيع أنْ أُفَسِّر أكثر ، أَتفهَم ؟ (الشيخ بورفيريوس يتحدَّث عن معيانته للمسيح الإله، فقد دُعِيَ بالرَّائي لأنَّهُ عاين أمورًا

cover_4_pages.ai 3 02/03/2024 11:05

عظيمة لا تُفَسَّر من إنعامات إلهيَّة، قَلَّ من حَصَل عليها.)

ـ **الشيخ** :....

إنَّه في كُلِّ مكان. الآن فَسِّروا أنتم ذلك. أنا لا أستطيع أنْ أُفَسِّرَهُ. فقط أقول لكم عندما تفكِّرون مثلًا **بالقديسِ أنطونيوس الكبير**. ربما تعتقدون أنَّه هنا، آخرون يفتكرونه في **طيبا** (في صحراء النترون حيث نَسَكَ هناك)، آخرون في مِصرَ، آخرون في أورشليم، وآخرون في سيناء. في هذه الساعة هو هنا وهناك ... ماذا تقولون عن ذلك ؟

ـ **أحد الأشخاص** : هو في كُلِّ مكان (أي القديس أنطونيوس)، لأنَّهُ وسط النعمة الإلهيَّة.

ـ **الشيخ** : نعم إنَّه في العالم، العالم الرُّوحي. وبالرغمِ من كوننا مسيحيِّين، لا نعرف شيئًا البَتَّةَ. لا نعرف شيئًا عن **المسيح**.

ـ **أحد الأشخاص** : هذا هو الواقع.

ـ **الشيخ** : ونَحيا نَحنُ المساكين ونقرأ كلامًا جميلًا قاله الأب الفُلاني ماذا يُسَمَّى؟ فلانًا. نعم جميلًا وجميلًا جدًّا. إنَّما نحنُ نبقى في جَهلِنَا، في تَشَتُّتِنَا، ونَحيا بدونِ **المسيح**.

المسيح هو شيء آخر. عندما يأتي **المسيح** إلى الإنسان، عندما يأتي إلى نفسنا، عندما يقترب **المسيح** من الإنسان، **عندما يدخل في النفسِ، تُصبح النفس مُختلفة**. يحيا في كُلِّ مكان، يحيا في الكواكب، وفي العالم يحيا روحيًّا، يحيا في الفراغ، يحيا في الكون، يحيا ... نتحدَّث معه هاتفيًّا إلى جنوب أفريقيا، إلى المحيط الهندي. يتحدَّث معهم، عن أحوال بيتهم، عن أولادهم، يسألهم عن عائلاتهم، وهو في الوقتِ نفسه هنا. أفهمتم ذلك؟ (هذا ما كان يَنْعَم به القديس پورفيريوس).

أنتم تعتقدون، وأقولها ببساطة لكم، أنَّني في آخر المطاف شيءٌ. أنا لستُ بِشَيءٍ. إنَّما أُحاول. وَمِمَّا أقوله لكم قليلًا، وكأنِّي أذوقُه قليلًا جدًّا. وأُحاول وأريدَهُ وأحبُّ؛ أُريد أنْ أغصبَ نفسي. لكن مرَّاتٍ كثيرة أحيا كُلَّ ذلك **بنعمة الله دون أن أتكلَّم**. هل تسمحون لي بذلك. تسمحون بِهِ، لكني أن أتكلَّم دائمًا بذلك. إذًا الحياة بدون **المسيح** ليست بِحياةٍ. انتهى كُلُّ شيء إنْ لم تفهموا ذلك.

ـ **الشيخ**

الآن أنا أتكلَّم، ولستُ في حالتي الطبيعيَّة. أنا أجدب حقًّا لأنِّي أتكلَّم بذلك.

ـ **أحد الأشخاص** : أيُّها الأبُ الشيخ إنَّ ٩٠٪ منَّا ليسوا مسيحيِّين أو يبقون فقط في التعجُّب. ونقول حسنًا: قال **البارُّ أفرام السوري** أو **البارُّ اسحق السوري** وأيضًا **القديس يوحنَّا السُلَّمي**. أنَّنا نبقى في العَجَب. وأخطر من ذلك لا نعمل شيئًا، لا نُحاول ... لذلك يَأكلنا القلق، يأكلنا الإضطراب والحزن ...

ـ **الشيخ** : نعم كما تقول هذه هي حالُنا. كيف أكون هناك بينما أنا هنا؟ الأمرُ هو أنَّهُ إلى أنْ يَأتي **المسيح** ليَعيش فينا، عندئذ نكون في كُلِّ مكان مع **المسيح**. عِلَّتنا أنَّ **المسيح** ليسَ معنا.

ـ **الشخص نفسه** :نعم.

ـ **الشيخ** : نعم. لكني أعيش ضمن المحاولة. قولي عنِّي «أجدب».

ـ **الشخص نفسه** : هذه الكلمات لا تُقال أيُّها الشيخ. لأنَّ كُلَّ امرءٍ يحاولُ، لا يتكلَّم عن نفسه، بل يدعو النعمة الإلهيَّة لإعانته.

ـ **الشيخ** : نعم. لكن سُرعان ما ينتاب الإنسان الجنون فيتكلَّم. هناك جنون! يا ربُّ! نعم قلتُ لكم ذلك.

ـ **الشيخ** يستطرد قائلًا: لماذا تكتب كُلَّ ذلك؟ كلُّها هذيان.

ـ **الشخص**: ليست هذيانًا. إن كانت كذلك، فما هو الصحيح؟ هكذا أنا أُفَكِّر أنَّها توصياتٌ لنا.

ـ **الشيخ** : أتُفَكِّر هكذا؟

ـ **الشخص**: نعم...

ـ **الشيخ** : علينا إذًا أنْ نَشعُرَ بِها، أنْ نَحياها لِتُصبِح فعليَّة وواقعًا: هو الصديق، هو الأخ. (يتكلَّم الشيخ ثانية عن المسيح) كيفَ أُنادي بذلك؟ وَكَم مرَّةً؟ أيُّ عمقٍ يخفي وراء ذلك؟ عمقٌ كبيرٌ في الحقيقة. هذا يتَطَلَّب جُرأةً. **المسيح** لا يُريد الخوف.

الرُسل كم كانوا بُسطاء! لَمْ يَقسَ عليهم بل تركَهم هكذا حتى النهاية مساكين! لقد خافوا واختبأوا ... ماذا كابدنا نحنُ؟ نعم، **الرُّوح القُدُس** كمَّلَهُم. النعمة كَمَّلتهم، ألا تُوافق على ذلك.■ **انتهى**

ملحوظة مهمَّة بامتياز، من جمعيَّة نور المسيح:

«وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ. وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! فَلاَ بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ!» (متى ١٨: ٦-٧). مقارنة بين ما قاله **القديس پورفيريوس** عن **محبَّة المسيح** التي لا تُسبَر، وعن **التعليم الخاطىء المُهلِك**، وهو ما حدث لشخصٍ قد عانى الخوف من المسيح، وأنَّ الله قاسٍ لا يرحم ، والسبب أنَّه كان في **مدرسة (تُدعى مسيحيَّة)** ، **غير روميَّة أرثوذكسيَّة**، تلميذًا مِنَ الروضَةِ، لغاية الصفّ الثاني ابتدائي، وكانت الراهبَة هناك تزرع فيهم الخوف الرَّهيب من العذابات المنتظرة وخاصَّةً بالهرطقة التي يؤمنون بها ألَا **وهي المطهر**، لدرجةٍ أنَّ هذا التلميذ كان يُعاني من كوابيس وأحلام مزعجة، وخوف شديد. بالإضافة لتنبيهاتٍ خاطئة، يصعب التعافي منها، وكانت هذه الراهبة قاسية، تستعمل الضَّرب والتقريع والتهديد، الأمر الذي **رَسَّخَ الخوف** في قلب هذا الشخص المسكين، ولكنه تحرَّرَ نهائيًّا من هذا الكابوس القاتم، **بنعمة ورأفات المسيح ومحبّته التي توصف الذي أتى لِيُخَلِّصَ ما قد هَلك.**

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122